بقلم الرئيس العام الشيخ
محمد صفوت نور الدين

الكون

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده . وبعد ، فلقد سبق لنا الحديث عن تطابق الشرع مع الكون وبيان بعض الأمثلة الموضحة لذلك ، ونريد الآن أن نتحدث عن التكامل بين الشرع والكون حيث يكون قدر الله فى خلقه يمهد الكون لتطبيق شرعه والعمل بدينه حتى أن الخلل ليظهر فى حياة الخلق بمخالفة الشرع ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

ونحب أن نشير أولاً إلى الكون فى تكامل أجزائه الدالة على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى . فالذى خلق الشمس وضوءها فى كبد السماء هو الذى خلق العين وإبصارها فى رأس الإنسان والحيوان ، فما قيمة عين تبصر بغير شمس تضىء ، وهذا التكامل يظهر فى الريح تهب مع حرارة الشمس تتسلط على مياه البحر المالحة فتبخر الصالح منها مكونة سحباً ينزلها الله مطراً ويجرى منها أنهاراً فى تكامل بديع . بل إن الله سبحانه جعل ما يفسده الإنسان ماء استخدمه فكدره وعكره ، الله ينقيه بشمس تبخر الصالح منه وتترك ما أفسده وكدره ، كما جعل الله الأرض تبتلعه فترشحه فى طبقاتها حتى تحتفظ به نقياً بعيداً عن المعكرات والمفسدات . بل إن الهواء الذى يخرج من العبد فى تنفسه ، الله خلق له نباتاً يستقبله ليعيده كهيئته قبل أن يستنشقه . كل ذلك من صور التكامل فى شرع الله الدال على وحدانيته سبحانه .

٢

والشـــــرع

والآن حديثنا إنما هو عن التكامل لا بين أجزاء الكون وبعضه ولكن بين كون الله وشرعه حيث إن رب الشرع هو رب الكون ، والتوافق قائم بينهما كأن الشرع جزء من أجزاء الكون ، ومن أمثلة ذلك تشريع الزكاة ﴿ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ .

فالله وزع الأرزاق بالقدر بين الناس يرزقهم سبحانه ، فمن الناس من يرزقهم الله بقدرة أودعها فى أرض منبتة أو مواد قابلة للتشكيل بصنعها ، أو تجارة يقدر لها ربحاً أو قوة فى يد العامل أو قدرة فى ذهن المفكر ، فهذا يرزقه الله بأرضه ونباته ، وهذا بصنعته ، وذاك بتجارته ، وهذا بعمل يده ، وكل ذلك بتقدير الله سبحانه ، ثم قدر الله سبحانه أن يكون من الناس من يفقد الأرض والصنعة والتجارة والقوة . فكيف يجد هذا أسباب عيشه ؟ . الله سبحانه يرزقه بشرعه حيث قال فى شرعه سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ، كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ويقول سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ .

فكانت منة الله على الغنى أن تجعل رزق الفقير فيما قدره فى مال الغنى من زراعة أو تجارة أو غيرها من أسباب الكسب ، فإن أخرج الزكاة للفقير جعل الله بذلك

يد الغنى المنفق هى العليا تفضلاً منه سبحانه ، ثم أنبت فى قلب الفقير محبة للغنى ومودة ، وعلى لسانه دعاءً وثناءً ، وإن أمسكه حُرم كل ذلك واكتسب إثم إمساك المال عن مصارفه ومخالفته لشرع ربه ، والله يقدر رزق الفقير من سبب غيره ، لأن الأسباب عند الله لا تنفد . هذا والزكاة فضل الله على الفقير أيضاً إذ رزقهم الله بغير سعى منهم أو تدبير بل بشرع أنزله الله ، وكل ذلك دبره الله فى السماء ﴿ وَفِى السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ .

ومن التكامل بين كون الله وشرعه أن كلف الله العبد بولده تربية ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيراً ﴾ فأعد الولد لذلك قدراً فى تطور نشأته وتدرج نموه فجعله يحبو على بطنه ويرضع ثدى أمه ويبقى لهما محتاجاً لا ينطق لا يتكسب حتى يتمكن الوالد من تعليمه الشرع فى مهده ، وهو يحتاج إلى والديه فينفذ ما يرغبان فيه . بل إن الله سبحانه جعل المرأة تحتاج إلى زوجها ويحتاج إليها فلا يستغنى أحدهما عن الآخر حاجة فطرية ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ هذه الحاجة الفطرية تجعل الزوجين فى مسكن واحد يتعاونان لينشأ الولد فى جو الأسرة المملوء بالمحبة والألفة تلبية لحاجات فطرية ﴿ واللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ .

ولو جعل الله الإنسان كهيئة كثير من الحيوان يقف على رجليه بعد ساعة من ولادته ، ويسعى لكسبه بعد أيام ، والأنثى لا تقبل ذكرها إذا حملت فكيف يتمكن الوالد من تربيته ، فالله هيأ الحاجات الفطرية والنمو القدرى ليتمكنا من تربيته . فمن أحسن التربية فرباه على الشرع كان له زخراً فى الآخرة ورزقه فى الدنيا بره ومن أعرض عن ذلك لقى فى الدنيا من ولده عقوقاً وفى الآخرة أوزاراً .

والله جلت قدرته خلق الرجل والمرأة وجعل لكل صفات تؤهله لدور يقوم به فى الحياة ، ثم أكمل الله ذلك بشرع شرعه فقال فى حق النساء : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ

وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَةِ الْأُولَى ﴾ **ثم قال سبحانه موزعاً عليهم أعباء الحياة :** ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ﴾ .

وانظر كيف جعل الله إحسان الرجل فى ولده تربية من الأمر الفطرى فغرس الحنان فى قلبه وجعل الإحسان من الولد بوالديه شرعياً ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ **وقال سبحانه :** ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾ .

إن المسلم الواعى حين ينظر ببصيرته فى الكون ويتدبر بعقله فى الشرع فإن الله يفتح له أمثلة التكامل البديع بين شرع الله وكونه ، فيعلم يقيناً أن الحياة لا تكون سعيدة إلا إذا عمل العبد بشرع الله ، حتى قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وللرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ **فبغير الشرع تكون الدنيا مواتاً لا حياة فيها وتكون ضنكاً لا سعادة فيها . فاللهم يا ذا الجلال والإكرام اجعلنا من أهل الاستقامة على شرعك نبتغى بذلك رضاك والجنة ، وأجرنا بفضلك من معصيتك المؤدية إلى سخطك والنار ، آمين .**

محمد صفوت نور الدين

بقلم رئيس التحرير
مصطفى الشوادفى

كلمة فى السياسة

الحمد لله الواحد الأحد .. الفرد الصمد .. الذى لم تكن له صاحبة ولا ولد ، والصلاة والسلام على رسوله الذى نصره الله فى بدر وفى أحد !

وبعد ..

فمن الحقائق الهامة المقررة أن الدين هو السياسة !

ولا يمكن تصور الدين بغير سياسة ، والذين يفترون على الله الكذب فيقولون : إن الدين علاقة بين العبد وربه فقط مخطئون عن عمد أو جهل !

ومثلهم فى ذلك من يقول : إن الإنسان ينتفع بالدين فيما بينه وبين الله !

وينتفع بالعلم فى تدبير شئونه اليومية !

وذلك لأن الإسلام – الدين الحق – هو منهج الحياة ، بل هو الحياة !!

فلا يمكن فصل الدين عن الدولة ولا عن واقع حياتنا ... فإننا نحيا بالإسلام ، ونقوم به ، ويقوم بنا أو بغيرنا !!

والسياسة بالمفهوم الاصطلاحى : هى القيام على مصالح الرعية بما يصلحهم ، ومن هذا المنطلق تصبح قيادة الأسرة سياسة ، وقيادة الدولة سياسة ، وكل راع فى رعيته يسوسهم ؛ أى يقوم عليهم بما يصلحهم .

وعلى هذا فإن الدعوة إلى الله تقوم على السياسة فى كل شأن من شئونها ، وتربية الأجيال تربية صحيحة على الكتاب والسنة

.. والإعلام

يفهم سلف الأمة سياسة ، ونحن – أهل السنة والجماعة – نعتقد أن تربية الأجيال هى الطريق الصحيح لترشيد الأمة ، ووضعها على طريق الاستقامة الذى أمرنا الله عز وجل باتباعه ، وكما يقال : إن الوزير كان فى يوم من الأيام طفلاً ، ولو أننا أحسنّا تربيته فى الصغر لأصبح عند كبره صالحاً ؛ وهذا معناه أننا نؤهل للأمة قادة يفهمون الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح ، فإذا وصلوا إلى مناصب معينة ، أو اشتغلوا بالحكم فإنهم يحسنون بما عندهم من التربية الصحيحة ... ويمكن أن نشير إلى بعض المسائل السياسية التى يكتنفها الغموض ، ويقع فيها الخلل ، وسوء الفهم ؛ فمن هذه المسائل :

أولا :

بعض التوجهات الإسلامية تكون حريصة على الوصول إلى الحكم بدعوى أنه يمكنهم من خلاله أن يصلوا إلى تطبيق الشريعة والاحتكام إليها.. وهنا يقع الخلل، لأن منازعة الحكام تؤدى فى كل الحالات إلى وقوع الفتن ، وفى نفس الوقت لا بد أن تكون الأمة أو المجتمع مؤهلاً للقيام بهذا العبء بصورة صحيحة ، وليس بصورة دعائية فقط ، أضف إلى ذلك أن الوصول إلى الحكم ليس هدفاً فى ذاته ، بل هو وسيلة لتطبيق شرع الله ، فالواجب علينا أن نطالب الحكام بتطبيق الشريعة ، ونقدم لهم فى ذلك النصيحة الواجبة بالضوابط الشرعية التى قررتها الشريعة .

ثانيا :

هناك من يطالب الحكام بتطبيق الشريعة دون أن يبين لهم ما هى الشريعة ؟ ودون أن يقدم لهم الإطار الذى يمكن العمل من خلاله من الناحية التنفيذية أو الواقعية ، فالذى ينبغى هو أن يقوم العلماء ببيان الشريعة للحكام ، وأن يسأل الحكام العلماء عن أحكام الشريعة ، فالعلماء يبينون ، والحكام يسألون .

ثالثا :

هناك من يقول : ينبغى على أهل السنة القائمين على أمر الدعوة أن يدخلوا المجالس النيابية وأن يشاركوا فى صنع القرار ، وهناك من يقول : بل ينبغى عليهم

أن يشتغلوا بدعوتهم للعمل على نشر العقيدة ، وتربية الأجيال .

والأمر فى تقديرنا ، ليس واحداً ؛ فقد يكون من المصلحة أحياناً أن يتقدم علماء أهل السنة ودعاتها للمشاركة فى صنع القرار السياسى ، وذلك إذا كانت المصلحة راجحة ، والمفسدة المقابلة لها أقل أو منعدمة ؛ كما قال يوسف عليه السلام ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ فى موقف كان يحتاج معه إلى مثل هذا المسلك ، ولكن فى بعض الحالات قد تكون المشاركة أو محاولة المشاركة فى صنع القرار ستفضى إلى الوقوع فى مواجهة ، واصطدام بالسلطة القائمة ، أو إحداث فتنة ، أو أن نكون غير مؤهلين لتحمل هذه المسئولية فى وقت معين ، أو غير ذلك من الأسباب ، وهنا تكون المفسدة راجحة ، والشريعة تمنع من الخوض فى مسألة تكون المفسدة فيها راجحة . إعمالاً للقاعدة الأصولية المعتبرة عند أهل العلم « درء المفاسد أولى من جلب المصالح » وإذا تعارضت مفسدتان أو مفسدة ومصلحة دفعنا المفسدة الأكبر بارتكاب المفسدة الأقل ، أو حصلنا المصلحة الأعلى بالتنازل عن المصلحة الأقل ، وهذا كله فى إطار الشريعة ، وليس فى إطار الأهواء أو التقديرات الشخصية ...

● أما عن الإعلام الإسلامى فإنه إلى الآن – للأسف – لا يعمل من خلال إطار متكامل تسخَّر فيه جميع الوسائل . فالإعلام الإسلامى يعتبر من أقوى وأوسع وسائل الإعلام المتاحة إذا تم استغلاله ! فإذا تصورنا أن هذه الوسائل الإعلامية يدخل فيها الأذان ، والمنبر ، والمحاضرة ، والندوة ، والمسابقة ، والكلمة المكتوبة ، والمقروءة ، والمسموعة ، والإذاعة ، والتلفزيون ، والمجلات ، والصحف ، والدوريات ، بالإضافة إلى وسيلة هامة انفرد بها الإسلام وهى : القدوة !!

كل هذه الوسائل إذا نظرنا فيها نظرة فاحصة سنجد أننا لم ننتفع بها على الوجه الصحيح الذى يجعلها تؤدى رسالتها فى نشر الدعوة ، وبيان منهج أهل السنة والجماعة .

فخطيب الجمعة على سبيل المثال يكون فى كل بلاد المسلمين هو صاحب الكلمة ، والكل ينصت لما يقول ، ويجلس ضمن المصلين والمستمعين الحكام والأمراء والوزراء والرؤساء والوكلاء !! بمعنى أنه تتاح له فرصة مخاطبة هؤلاء جميعاً !

وعلى هذا فإننا نستطيع القول : بأن القصور فى استخدام هذه الوسائل راجع إلى القائمين عليها ، وليس إلى المستقبلين لها بالدرجة الأولى .

وهذا الخلل يرجع – أساساً – إلى عدم تهيئة القائمين على هذه الوسائل التهيئة الصحيحة ، أى عدم الإعداد الجيد ، وكذلك عدم وجود الخبرة الكافية التى تجعلهم يحسنون الانتفاع بهذه الوسائل ، واستغلالها فى توضيح الإطار الكامل لمنهج الإسلام فى جميع نواحى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغير ذلك ، وما زالت وسائل الإعلام فى بلاد المسلمين تفقد القدرة على تغطية كافة أخبار ومشاكل وهموم العالم الإسلامى ، ويرجع ذلك إلى ضعف أو انعدام التعاون والتنسيق بين هذه الوسائل .

إن وسائل الإعلام التى سبق أن أشرنا إليها ينبغى عليها أن تعالج الخلل وتحسِّن الأداء حتى تقوم بدورها فى تحويل شعوب المسلمين من مستقبلين للدعوة إلى مشاركين فيها !!

وفى تقديرنا أن الوصول إلى ذلك يقوم على ثلاثة أشياء توحيد المصدر ، وتوحيد المنهج ، وتوحيد الهدف !!

فأما توحيد المصدر : فهذا يكون فى تلقى المعلومات والمفاهيم من منطلق الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ، ومن كتب ومصادر أهل العلم المعتبرين المتفق على إمامتهم كأبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وكذلك البخارى ومسلم وغيرهما وبقية علماء السلف الصالح .

وأما توحيد المنهج : فيحتاج إلى تنسيق وتعاون بين أهل السنة فى مختلف أنحاء العالم من جانب وفى داخل كل دولة من جانب آخر وذلك بقصد الوصول إلى منهج موحد فى العلم والعمل .

وتوحيد الهدف : هو الركن الثالث الغائب فى وسائل إعلامنا !!

فليس عندنا خطة زمنية وأهداف وغايات محددة واضحة ننتهى إليها ، ونتابع تنفيذها على المدى القصير والطويل حتى يمكن أن نعمل جميعاً فى اتجاه واحد إن شاء الله إذا خلصت النية وصلح العمل ، والله من وراء القصد وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه .

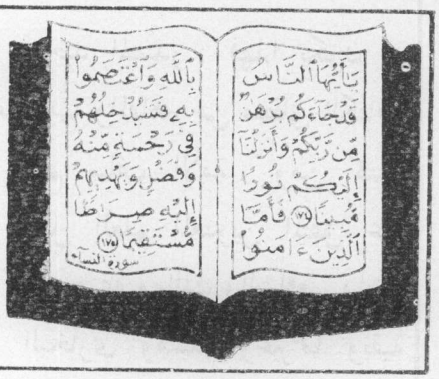

علوم القرآن أصولاً ومنهجاً

بقلم

أ.د محمد بكر اسماعيل

أستاذ التفسير وعلوم القرآن جامعة الأزهر

الحكمة في نزول القرآن منجماً

عرفنا أن القرآن الكريم قد نزل من لدن الحكيم العليم إلى اللوح المحفوظ أولاً بمعنى أن الله عز وجل أثبته فيه، كما أثبت كل شيء كان ويكون إلى ما شاء الله جل جلاله، وذلك لحكمة خفيت علينا.

وعرفنا أنه نزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة في ليلة مباركة، هي ليلة القدر لحكمة لا نعلمها أيضاً على وجه التحديد، ولا على وجه التقريب، إلا أن نقول - على سبيل الظن - بأنه تفخيم وتعظيم لأمر القرآن وأمر من نزل عليه.

وعرفنا أن القرآن الكريم قد نزل على النبي ﷺ منجماً في نحو ثلاث وعشرين سنة، على حسب الوقائع والأحداث، ومقتضيات الأحوال.

ونريد أن نتعرف بقدر الطاقة البشرية على الحكمة في نزوله منجماً، أي مفرقاً في هذه المدة التي ذكرناها فنقول:

نزل القرآن على قلب النبى ﷺ منجماً لحكم بالغة بعضها نعلمه من خلال آيات القرآن نفسه ، وبعضها لا نعلمه .

أما الذى نعلمه منها فيرجع فى جملته إلى الأمور الآتية :

١ - تثبيت قلب النبى ﷺ ، وتسليته ومواساته ورفع الحرج عنه ، وإزالة ما يعترى صدره من ضيق وحزن ، وإدخال السرور عليه الفينة بعد الفينة ، ومده بالقوة التى تدفعه إلى المضى فى دعوته وتبليغ رسالته على خير وجه وأكمله ، وتهون عليه ما يلقاه من قومه من أذى وعنت وصدود ، وليدفع عنه شبح اليأس ، كلما حام حوله ، واعترض طريقه لتظل همته دائماً فى الذروة العليا .

٢ - الرد على شبه المشركين ، ودحض حجج المبطلين إحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل ، وفى ذلك رد لكيدهم فى نحورهم أولاً بأول ، حتى لا يتمادوا فى غيهم وإضلالهم لضعفاء النفوس منهم ، وحتى لا يتأثر أحد من المسلمين بأقوالهم ، فينعكس ذلك على إيمانه وطاعته لله رب العالمين ، والقلوب تحتاج دائماً إلى تطهير من الشبهات والوساوس الشيطانية ، والهواجس النفسية ، فكان القرآن الكريم كفيلاً بذلك كله .

وفى ذلك يقول الله عز وجل : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ، وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾ [الفرقان : ٣٢ - ٣٣] .

٣ - ومن أهداف التنجيم أيضاً تيسير حفظ هذا القرآن العظيم على النبى ﷺ ، وعلى أصحابه ، وقد كان أكثرهم لا يقرأ ولا يكتب ولا عهد لهم بمثل هذا الكتاب المعجز ، فهو ليس شعراً يسهل عليهم حفظه ، ولا نثراً يشبه كلامهم يسهل عليهم نقله وتداوله ، وإنما هو قول كريم ثقيل فى معانيه ومراميه ، يحتاج المسلم فى حفظه وتدبره إلى تريث وتؤدة وإنعام نظر .

قال جل شأنه : ﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً ﴾ [الإسراء : ١٠٦] .

٤ - ومن أهم الأهداف التى أنزل من أجلها القرآن مفرقاً - التدرج بالأمة فى تخليهم عن الرذائل ، وتحليهم بالفضائل ، والترقى بهم فى التشريعات ، فلو أنهم أمروا بكل الواجبات ، ونهوا عن جميع المنكرات دفعة واحدة لشق عليهم ، ولضعفت الهمم الصغيرة عن التجاوب والمسابرة ، تماماً

كالطبيب الذى يعطى المريض دواءه على جرعات ولو أعطاه له مرة واحدة لتحقق أحد أمرين ، إما رفض المريض للدواء والصد عنه ، وإما القضاء عليه .

٥ – كذلك نزل القرآن منجماً لمواكبة الحوادث ، وهى متجددة متعددة ، فكان كلما جد جديد من الأمور المصلحية التى تتعلق بمصالح العباد فى العاجل والآجل ، جاء حكم الله فيها فيرسخ فى النفوس ، وتتجاوب معه وترتضيه .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة نزلت على سبب أو أكثر ، إذا جهل سببها لا يعرف حكمها ، على ما سيأتى بيانه فى أسباب النزول ، فكم من قضية توقف النبى ﷺ فى البت فيها ، حتى نزل فى شأنها قرآنٌ يتلى ، فكان ما نزل فيها تقريراً شافياً ، وحكماً عادلاً ، لا يستطيع أحد رده ، ولا يسع المسلمين إلا قبوله والرضى به .

٦ – وهناك أمر آخر يغفل عنه كثير من أهل العلم فى حكمة التنجيم وهو الدلالة على الإعجاز البيانى ، والتشريعى للقرآن ، فإنه وإن كان قد نزل مفرقاً فى نحو ثلاث وعشرين سنة وفى أوقات متباينة وأحكام مختلفة ، وحوادث متعددة قد رتب ترتيباً عجباً لا نرى فيه بتراً ، ولا خللاً بين آياته ، ولا تنافراً بين ألفاظه ، ولا تناقضاً فى معانيه ، ولا اختلافاً فى مقاصده ومراميه .

﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١] .

إنه كلام الله تعالى قد استوت ألفاظه ومعانيه على محجة بيضاء، لا يعرف الناس لها عوجاً ولا أمتاً ، وانتظمت فى عقد فريد لا يبلغ كلام أحد شأوه ، ولا يعرف كنه جلاله وجماله إلا من أنزله .

قال بعضهم يوبخ نفسه ويعظها : يا نَفْسُ بادرى بالأوقاتِ قبل انصرامها ، واجتهدى فى حراسة لَيَالِى الحياة وأيامها .

فكأنكِ بالقبور قد تشَقَّقَتْ ، وبالأمور وقد تحَقَّقَت ، وبوجوه المتقين وقد أشرقت ، وبرؤوس العصاة وقد أطرقت ، قال تعالى وتقدس : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ يا نفس أما الوَرعُونَ فقد جَدُّوا ، وأما الخائفون فقد استعدوا ، وأما الصالحون فقد فرحوا وراحوا وأما الواعظون فقد نصحوا وصاحوا .

دراسات في حجية السنة النبوية

الحلقة الثانية

بقلم

ابراهيم سعيداى

دراسات عليا - دار العلوم

النوع الثانى : من الآيات يتكون من مجموعتين :

المجموعة الأولى :

ما يدلُّ من القرآن الكريم ، والسنة النبوية على وجوب طاعة الرسول ﷺ مطلقاً ، وأن طاعته طاعة لله ، والتحذير من مخالفته أو تبديل سنته . على أن هذه النصوص التى سنعرضها مما نشدُّ بها الوثاق ، فيما نحن بصدد تقريره ، من قوة الارتباط بين القرآن والسنة من حيث قيام الحجة بهما على السواء ، وإن رغمت أنوف الحاقدين عامة ، والمشككين منهم فى حجية السنة النبوية خاصة ، لنتأمل فى الآيات والأحاديث الآتية :

١ - فى سورة النساء الآية : ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، قال تعالى :

﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً * مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً * وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴾ .

٢ - وفى سورة المائدة الآية : ٩٢ ، قال تعالى :

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ .

٣ - وفى سورة الأحزاب الآية : ٧٠ و ٧١ ، قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ

فَوْزاً عَظِيماً ﴾ .

٤ – وفى سورة الأنفال الآية : ٢٤ ، قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ .

٥ – وفى سورة النساء الآية : ٥٩ ، قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ .

٦ – وفى سورة محمد الآية : ٣٣ ، قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾ .

٧ – وفى سورة الأنفال الآية : ٢٠ و ٢١ ، قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ .

٨ – وفى سورة آل عمران الآية : ١٣٢ ، قال تعالى :

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

٩ – وفى سورة الأنفال الآية : ٤٦ ، قال تعالى :

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ .

١٠ – وفى سورة النساء الآية : ٦٤ ، قال تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾ .

١١ – وفى سورة النساء الآية : ١٣ و ١٤ ، قال تعالى :

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَـٰلِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ .

١٢ – وفى سورة الأحزاب الآية : ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً * خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً لَّا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا * وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا *

رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ .

أما ما يدلُّ من السنة على وجوب طاعة الرسول ﷺ : فلنتأمل فى الحديثين الآتيين :-

١ - روى البخارىّ فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« كل أمتى يدخلون الجنة إلَّا من أبى ، قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » .

٢ - روى البخارىّ فى نفس الكتاب : من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال :

« من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله » .

التعليق المجمل على آيات الطاعة :

وجه الاستدلال من الاثنتى عشرة مجموعة (من الآيات) ، سنسوقه فى شكل فوائد ، وذلك لوضوح المعانى عامة ، مع التوقف على بعض وجوه من الدلالات ، نبه عليها أهل العلم .

الفائدة الأولى :

نجد فى القرآن الكريم آيات كثيرة بالإضافة إلى ما أثبتناه هنا من الآيات ، كلها تدل على وجوب طاعة الرسول ﷺ ، استقلالاً ، والتزام أمره ، والانتهاء عما نهى عنه ، وبعضها قرن بين طاعة الرسول ﷺ ، وبين طاعة الله تعالى ، وبعضها أوجب الرجوع إلى الله ورسوله عند التنازع والاختلاف فى شىء .

والآيات الأخيرة من هذا النوع سجلت الحسرة والندامة التى تنتظر يوم القيامة : الذين لم يبالوا بطاعة الله ورسوله ﷺ فى الدنيا ، ولا يخفى أن الطاعة هى من أعظم آثار الإيمان .

الفائدة الثانية :

نثبت فيها أقوال أهل العلم ، فى جمل من الآية : ٥٩ ، من سورة النساء ، قال تعالى : ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ .

سجل الألوسى رحمه الله معنىً دقيقاً فى تفسيره : روح المعانى : (٥/٦٥) تحت هذه الآية فقال : (وأعاد الفعل ، وإن كانت طاعة الرسول مقرونة بطاعة الله ، اعتناء بشأنه ﷺ ، وقطعاً لتوهم أنه لا يجب امتثال ما ليس فى القرآن ، وإيذاناً بأن له ﷺ استقلالاً بطاعة لم تثبت لغيره ، ومن ثم لم يعد فى قوله : ﴿ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ إيذاناً بأنهم لا استقلال لهم فيها استقلال الرسول ﷺ) .

وقوله تعالى : ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ

وَالرَّسُولِ ﴾ نكتفى بتفسير ميمون بن مهران رحمه الله – وقال الحافظ ابن حجر فى التقريب عنه : هو أبو أيوب : ثقة فقيه – قال : (الرَّد إلى الله : هو الرجوع إلى كتابه ، والرَّد إلى الرسول : هو الرجوع إليه فى حياته ، وإلى سنته بعد وفاته) .

وجاء فى مقدمة صحيح ابن حبان (١٩٧/١) تحت باب (الاعتصام بالسنة وما يتعلق بها نقلاً وأمراً وزجراً) قال أبو حاتم : « طاعة رسول الله ﷺ هى الانقياد لسنته بترك الكيفية والكمية فيها مع رفض قول كل من قال شيئاً فى دين الله جل وعلا بخلاف سنته دون الاحتيال فى دفع السنن بالتأويلات المضمحلّة والمخترعات الداحضة » اهـ .

الفائدة الثالثة :

سجلها ابن القيم ، فى إعلام الموقعين : (١/ ٤٩ و ٥٠) تحت الآية : ٥٩ من سورة النساء ، حيث قال: (فأمر الله بطاعته ، وطاعة رسوله ﷺ ، وأعاد الفعل إعلاماً ، بأن طاعة الرسول ﷺ ، تجب استقلالاً ، من غير عرض ما أمر به على الكتاب ، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً سواءً كان ما أمر به فى الكتاب أو لم يكن فيه ، فإنه أوتى الكتاب ، ومثله معه .

ولم يأمر بطاعة أولى الأمر استقلالاً ، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم فى ضمن طاعة الرسول ﷺ ، إيذاناً بأنهم يطاعون ، تبعاً لطاعة الرسول ﷺ ، فمن أمر بطاعة الرسول ﷺ ، وجبت طاعته ، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول ﷺ ، فلا سمع له ، ولا طاعة ، كما صح عنه ﷺ ، أنه قال :

« لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق »[1].

المجموعة الثانية :

من آيات القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، دلَّت على وجوب اتباع الرسول ﷺ ، فى جميع ما صدر عنه إلَّا ما خص الدليل ، والتأسى به ، وعلى أن اتباعه لازم لمحبة الله ، وهذا بدوره يؤكد لنا « حجية السنة النبوية » وقبولها ، مطلعاً على ضوء الضوابط التى قررها أهل العلم .

لنتأمل فى الآيات والأحاديث الآتية :

١ – فى سورة آل عمران الآية : ٣١ ، قال تعالى :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

٢ – وفى سورة الأحزاب الآية : ٢١ ، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ

وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً ﴾ .

٣ - وفى سورة الأعراف الآية : ١٥٦ و ١٥٧ ، قال تعالى :

﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

٤ - وفى سورة النساء الآية : ١١٥ ، قال تعالى :

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً ﴾ .

٥ - وفى سورة النور الآية : ٦٣ ، قال تعالى :

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

أما ما يوجب اتباع سنة الرسول ﷺ ، من سنته ، فنسجل هنا حديثاً واحداً ، وهو ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، فى باب : تعظيم حديث رسول الله ﷺ ، والتغليظ على من عارضه ، من حديث أبى رافع رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر مما أمرت به ، أو نهيت عنه فيقول : لا أدرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » (٢) .

---

(١) **صحيح** . أخرجه البغوى فى شرح السنة (رقم ٢٤٥٥) وفى سنده ضعف ويشهد له حديث الحكم ابن عمرو الغفارى وعمران بن الحصين عند أحمد والطيالسى والطبرانى والحاكم وغيرهم ، وانظر الصحيحة (رقم ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١) ، وهو فى الصحيح بغير هذا اللفظ .

(٢) **صحيح** . وسنده صحيح ، وقد روى مرسلاً ، وله شواهد من حديث المقدام بن معدى كرب والعرباض بن سارية وأبى هريرة رضى الله عنهم أجمعين .

بقلم فضيلة الشيخ
عبد العزيز بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية
والإفتاء والدعوة والإرشاد

أخلاق المؤمنين والمؤمنات

بسم الله الرحمن الرحيم والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على عبده ورسوله وأمينه على وحيه نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله وأفضل الدعاة إلى سبيل الله وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين أما بعد .

فإني أشكر الله عز وجل على ما من به من هذا اللقاء بإخوتي في الله وأخواتي في الله، أسأله سبحانه أن يجعله لقاءً مباركاً وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعاً ، وأن يمنحنا الفقه في دينه ، وأن يعيذنا جميعاً من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وأسأل الله أن يبارك في جهود الجميع وأن يعينهم على كل ما فيه رضاه كما أسأله سبحانه أن يوفق الجميع لكل خير وأن يثبت الجميع على دينه ويعيذنا جميعاً من مضلات الفتن إنه خير مسئول .

أيها الأخوة فى الله والأخوات فى الله عنوان كلمتى « أخلاق المؤمنين والمؤمنات » بين الله سبحانه فى كتابه الكريم فى مواضع كثيرة من القرآن أخلاق المؤمنين وأخلاق المؤمنات وكررها كثيراً ليعلمها المؤمن فيأخذ بها ويستقيم عليها ، ولتعلمها المؤمنة فتأخذ بها وتستقيم عليها ، ولا فرق فى ذلك بين الأمراء والأطباء والعلماء وعامة المؤمنين من الذكور والإناث ، كلهم مطالبون بهذه الأخلاق . مطالبون بالتحلى بالأخلاق الإيمانية التى شرعها الله لعباده وأمرهم بها وجعلها طريقاً للسعادة فى الدنيا والآخرة وسبيلاً لمصلحة الجميع فى هذه الدار وطريقاً للنجاة يوم القيامة ومن جملة الآيات وأجمعها فى ذلك قول الله سبحانه وتعالى فى سورة التوبة : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧١] . ثم ذكر بعد ذلك جزاءهم فى الآخرة فقال : ﴿ وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٧٢] . هذا جزاؤهم فى الآخرة فجدير بكل مسلم ومسلمة وبكل مؤمن ومؤمنة أن يتدبر هذه الآية وما جاء فى معناها من الآيات ويتفقه فى ذلك وأن يعمل بمقتضاها حتى يكون من المستحقين لرحمة الله فى الدنيا والآخرة ومن الفائزين بالجنة والكرامة يوم القيامة .

فجميع المؤمنين والمؤمنات من جميع الطبقات من عرب وعجم وجن وإنس وأمراء وعلماء ومديرين وأطباء وطبيبات وباعة وممرضين وممرضات وغير ذلك ، جميع هذه الطبقات كلهم إذا آمنوا بالله ورسوله كلهم داخلون فى هذه الآية وهى قوله سبحانه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ يعنى كل واحد ولى أخيه وأخته فى الله وكل مؤمنة ولية أخيها فى الله وأختها فى الله بالتناصح والتواصى بالحق وأداء الأمانة وصدق الحديث وعدم الغش فى المعاملة إلى غير ذلك كلهم أولياء . كل واحد ينصح للآخر ويؤدى حقه ولا يغتابه ولا ينم عليه ولا يخونه ولا يشهد عليه بالزور ولا يظلمه لا فى نفسه ولا فى ماله ولا فى عرضه ، وبذلك يفوز بما وعد الله به المؤمنين إذا استكمل هذه الصفات العظيمة وعلى المؤمن والمؤمنة أن يعتنيا بهذا الواجب

وأن يجاهدا أنفسهما فى التطبيق حتى يكونا ممن شملتهم هذه الآية . فالطبيب ينصح فى عمله ويؤدى الواجب فى حق المريض من جميع الوجوه ويتقى الله فيه فى وصفه للدواء وكيفية العلاج وفى جميع الشئون التى يعتقد أنها تنفع المريض ، والطبيبة كذلك ، وموظفوا المستشفى والممرض والممرضة كذلك ولهذا قال سبحانه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ على كل منهم واجبه فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والنصح لله ولعباده مع الصدق والإخلاص والاستقامة ، فالأمير والمدير والطبيب كل واحد منهم عليه واجبه إذا رأى منكراً أنكره ونهى عنه ، وإذا رأى المعروف الذى قد أضاعه مؤمن نهاه عن إضاعته وأمره به . قال سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] وبهذا يصلح المجتمع وتستقيم أحواله إذا كان كل واحد ينصح لأخيه ويؤدى الحق الذى عليه ولا يخون أخاه فى شىء ، وهكذا سائر المجتمع فى أعماله كلها فى البيع والشراء وفى الزراعة وفى رعاية الإبل والغنم يؤدى الأمانة وينصح لله ولعباده كما قال النبى ﷺ : « الدين النصيحة . قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » وقال جرير بن عبد الله البجلى أحد الصحابة - رضى الله عنه - بايعت النبى ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم .

ثم ذكر الله بعد ذلك الصلاة والزكاة فقال سبحانه : ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ يعنى أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويحافظون عليها كما أمرهم الله فى أوقاتها هكذا. يجب على المؤمن والمؤمنة العناية بالصلاة والمحافظة عليها وإقامتها كما شرعها الله ، الرجل يؤديها فى الجماعة ، والمرأة تؤديها فى وقتها فى بيتها وفى محل عملها بإخلاص وطمأنينة وخشوع ، كما قال سبحانه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢] وقال جل وعلا : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ [البقرة : ٢٣٨] وقال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ واركعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[البقرة : ١١٠] فالصلاة عمود الإسلام وركنه الأعظم بعد الشهادتين يجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يعتنيا بها بالطمأنينة والخشوع وأدائها كاملة ومع التعاون بين المؤمن وأهله وجيرانه وغيرهم فى المحافظة عليها ، وهكذا المرأة مع أهلها ومع زوجها ومع أمها ومع إخوانها ومع بناتها ومع غيرهم فى المحافظة والتواصى والتناصح .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ

الْإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا الَّذِيْن آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [سورة العصر] هكذا المؤمنون يتناصحون ويتواصون بالحق والصبر عليه قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة : ٢] فالمؤمن يعين أخاه فى الخير ، والمؤمنة كذلك تعين أخاها وأختها فى الخير ولا يتعاونون على الإثم والعدوان ومن ذلك ترك الصلاة وترك الأمر بالمعروف ، ولكن يتعاونون على طاعة الله ورسوله وعلى البر والتقوى ، وينهون عن ضد ذلك من الآثام والعدوان والمعاصى .

وهكذا الزكاة - حق المال - يتعاونون على أدائها ، ويتناصحون فى أدائها. فالمؤمن يطيع الله ورسوله فى كل شىء ، ومن أسباب ذلك ووسائله العناية بالقرآن الكريم وتدبر معانيه. فإن هذا من أعظم الأسباب فى تقوى الله وصلاح القلوب وأن تؤدى حق الله وحق عباده .

وأوصى الجميع بتقوى الله والاستقامة على دينه والنصح لله ولعباده وبوجه أخص النصح مع المرضى والمريضات وعدم التساهل فى حقهم بل يجب أن تؤدى الأمانة فى حقهم على أكمل وجه .

وكما أنصح بالعناية بحق الله من صلاة وزكاة وصوم وحج وغير ذلك فحق الله أعظم وأكبر ، وأوصى الجميع بالتواصى بطاعة الله ورسوله فى جميع الأحوال فى الشدة والرخاء .. فى السفر والإقامة فى بلدك وفى غيرها ، وفى الجو وفى الأرض وفى البحر وفى كل مكان عليك أن تتقى الله وأن تحاسب نفسك وأن تصونها عن محارم الله وأن تلزمها بحق الله ، وقد وعد الله سبحانه عباده على هذا بالرحمة فقال سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ ﴾ والمعنى أنهم متى أدوا حقه سبحانه وحق عباده يرحمهم سبحانه بمزيد من التوفيق والهداية لهم ثم يرحمهم بعد ذلك بدخول الجنة والنجاة من النار .

ومن المهمات التفقه فى الدين فإن المؤمن والمؤمنة مأموران بالتفقه فى الدين والتعلم وهذا من الإيمان بالله ورسوله . يقول النبى ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » ويقول ﷺ : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » ومتى صدق العبد مع الله واجتهد وأخلص لله يسر الله أمره وفقهه فى الدين وعلمه ما جهل وأعانه على الخير كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢] ، وكما قال عز وجل : ﴿ وَمَن يَتقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾ [الطلاق : ٤] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِيْنَ جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

التعددية في النظام السياسي الإسلامي

إن حديثنا عن الطاعة لا يعني نبذ فكرة المعارضة تماماً ، فالمعارضة لا تكون في كل صورها خلعاً للطاعة أو خروجاً على الجماعة ، بل إن آية الطاعة نفسها تفتح مجالاً واسعاً للمعارضة حين يأمر ولاة الأمور بما يخالف شرع الله تعالى ، وكذلك الأحاديث التي قيدت الطاعة بالمعروف ، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وكذلك الحديث عن الشورى ، وافتراض الاختلاف في الرأى بين أهل الشورى ، والحديث عن المناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يفسح مجالاً واسعاً للمعارضة المشروعة لكل ما يخالف الحق .

بل إن السوابق التاريخية في عصر الرسالة وفي عصر الخلافة الراشدة تبين لنا أن المعارضة كانت معروفة ومكفولة في إطار محدد ، وبضوابط معينة .

فقد عارض كثير من الصحابة ما ورد في صلح الحديبية من بنود جائرة .

قال عمر بن الخطاب ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : ألست نبي الله حقاً ؟ قال : بلى .

قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟

قال : بلى .

قلت : فلم نُعطى الدنية في ديننا إذن ؟

قال : إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري[1] .

وهنا لم يعترض النبي ﷺ على معارضتهم إياه ، وإنما بين لهم أن ما يفعله هو

قد يكون حديثنا عن الطاعة وأنها دين وقربة وتآلف ووحدة قد أثار فى أذهان البعض نبذ فكرة المعارضة فى النظام الإسلامى على أساس أنها نبذ للطاعة وخروج عن الجماعة ، وقد يفهم البعض الآخر أن نظام الشورى لا يمكن تحقيقه عملاً إلا فى ظل تعددية حزبية ، تسمح بقيام المعارضة وبتنظيمها .

والحق أن النظام السياسى الإسلامى لا يؤيد فكرة المعارضة ولا يرفضها فى ذات الوقت ، وإنما ينظر إليها باعتبارها فكرة جديدة تخضع لضوابط المصلحة .

د. جمال المراكبى
عضو لجنة الفتوى

الأصلح ، فليس فيه معصية لله ، وإنما فيه نصر للإسلام والمسلمين ، فقال لهم : إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى .

وصدق رسول الله ﷺ فقد كان هذا الصلح نصراً عزيزاً للمسلمين ، وسماه الله تعالى فتحاً مبيناً فقال : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾ [الفتح/١] .

وفى تقسيم غنائم هوازن وغطفان ، أعطى رسول الله ﷺ المؤلفة أموالاً كثيرة ، واعترض بعض الأنصار على ذلك فجمعهم رسول الله ﷺ وبين لهم صواب فعله حتى رضوا جميعاً[٢] .

فهذه بعض صور المراجعة والمعارضة الجائزة ، وقد أقرها رسول الله ﷺ ولم ينكر على المعترضين ، ولا بين أن معارضته لا تجوز ، مع أنه رسول الله المؤيد بوحى السماء ، وكثيراً ما نزل رسول الله ﷺ عن رأيه إلى رأى معارضيه إن استشعر المصلحة والصواب فيه .

ففى غزوة تبوك قل طعام الجيش ، فاستأذن الناس فى نحر بعض الإبل ليأكل منها الجند ، فأذن لهم رسول الله ﷺ فى ذلك ، فجاءه عمر معترضاً وقال : إذن يقل الظهر ، ثم اقترح على النبى ﷺ أن يجمع ما تبقى من الطعام ويدعو عليه بالبركة ، ففعل النبى ﷺ ذلك حتى أكل الجيش كله[٣] .

وفى عصر الخلافة

الراشدة اعترض سعد بن عبادة على مبايعة الصديق ، ولم يجبره أحد على البيعة .

وفى هذا المسلك إقرار لفكرة المعارضة فى ترشيح رئيس الدولة بل والامتناع عن بيعته دونما حرج طالما كان ذلك فى حدود احترام حرية الرأى ، أما إذا تعدى هذه الحدود إلى الدعوة إلى نبذ الطاعة والخروج على الحاكم ، فإنه يُعد بذلك عدواناً على الشرعية يلزم القضاء عليه حفاظاً على الجماعة ووحدة الأمة .

وقد اعترض بعض الصحابة على مسلك عمر ابن الخطاب عندما حبس أرض الخراج فى العراق والشام ومصر على مصالح المسلمين ولم يقسمها بين الغانمين ، ولكن أغلبهم وقف إلى جانب عمر فى اجتهاده[٤] .

وإذا كانت هذه بعض صور المعارضة الجائزة ، فإن هناك صوراً للمعارضة لا تجوز لأنها تخرج عن إطار الشرعية إلى إطار الطعن والهدم لبنيان الدولة .

والمثال الواضح على هذا النوع اعتراض الأعرابى على رسول الله ﷺ فى قسمته ، واتهامه إياه بالجور ، فقال : اعدل يا محمد .

وقد رفض النبى ﷺ هذا المسلك لأن فيه طعناً فى دين الله باتهام رسول الله ﷺ ، ولهذا قال له النبى ﷺ : « ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل »[٥] .

وكذلك اعتراض الخوارج على أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى قضية التحكيم ، وخروج هؤلاء الناس على جماعة المسلمين لأن الفارق بين الخروج وبين المعارضة السلمية المشروعة كبير ، لهذا قال لهم على : إن لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا ، ولا نمنعكم نصيبكم من الفىء ما دامت أيديكم معنا ، ولا نبدؤكم بقتال ما لم تقاتلونا .

حدود المعارضة فى النظام السياسى الإسلامى :

إذا كنا قد قررنا من قبل جواز المعارضة فى النظام السياسى الإسلامى واستشهدنا لذلك بسوابق تاريخية عديدة ترجع إلى العصر الأول وهو عصر الرسالة والخلافة الراشدة ، فإننا نتساءل ما هى حدود تلك المعارضة ، وكيف تتشكل ؟

هل هى معارضة فردية أم جماعية منظمة ؟ وقبل أن نجيب على هذه الأسئلة نقرر حقيقتين لا ينبغي أن نغفل عنهما ونحن نخوض غمار هذا الموضوع .

الحقيقة الأولى :

أن الدولة الإسلامية دولة دينية شرعية تقوم على مبادىء سماوية لا يجوز لأحد أن يتخطاها ، ولا يجوز للإرادة الشعبية أن

تخالفها إلا إذا تخلت عن دينها .

الحقيقة الثانية :

أن الشريعة الإسلامية أغفلت عن عمد تنظيم هذه الموضوعات ، تاركة إياها لظروف المجتمع فهى متروكة للجماعة تنظمها حسبما يتوافق مع مصالحها .

ويمكن أن نستنتج من ذلك نتائج عدة :

أولاً : الإسلام لا يسمح بمعارضة تستهدف النيل من النظام الإسلامى ، وعلى هذا فلا يجوز قيام أحزاب دينية طائفية تعارض النظام الإسلامى ، وتسعى لإقصائه عن السلطة ، ولا يجوز قيام أحزاب علمانية تسعى إلى نبذ الدين وإقصائه عن الدولة ، ولا يجوز قيام أحزاب تتبنى أيديولوجية تخالف الإسلام وتعتبر الدين أفيون الشعوب كالماركسية .

ولا يجوز للمعارضة أن تنال من الإسلام كدين ، فتناقش أمراً من الأمور التى تتعلق بأصول الدين ، أو من المعلوم من الدين بالضرورة ، فترفضه أو تسعى لتغييره .

فالمعارضة لا يجب أن تخرج فى تنظيمها . ولا فى أفكارها عن الإطار العام للنظام الإسلامى ، وذلك لأن هذا الإطار محدد بنصوص شرعية يجب الوقوف عندها ، ويحرم تجاوزها أما فى داخل هذا الإطار فالمعارضة جائزة ، وذلك لأنها تؤدى إلى تقليب وجوه الرأى لاستخراج أفضل الحلول والقرارات وذلك يؤدى إلى منع الاستبداد وتحقيق الشورى عملاً .

ثانياً : المعارضة التى يشجع النظام الإسلامى عليها هى تلك التى تهدف إلى تحقيق المصالح العامة للأمة الإسلامية .

ثالثاً : النظام السياسى الإسلامى لا يتقيد بأى نظام آخر ، فلا يقلد نظاماً معيناً ، ولا يرفض أى أسلوب يحقق له المصلحة المنشودة .

رابعاً : لا يجوز أن تترك المعارضة ميدان الجدل والنقاش إلى ميدان الخروج والقتال ، ومن ثم لا يقر النظام الإسلامى حزباً بوليسياً أو عسكرياً مسلحاً .

خامساً : لا تعنى المعارضة خروجاً على الطاعة ، وإنما هى مرتبطة بالجماعة والوحدة ، فالتعددية لا تعنى الفرقة ، فالافتراق فى الدين مذموم شرعاً ، والتعددية فى الفكر وتقديم المشورة محمود شرعاً وعقلاً ، وبها يزداد الفكر الإسلامى نماءً وخصوبة ، يشهد لذلك ما أورده الفقهاء من أمثلة لهذه التعددية فى أمور الاجتهاد

والاستنباط ، دون أن يعيب بعضهم على بعض ، وإنما غايتهم الحق ، ولسان حال كل منهم « رأيى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب » .

وقد يرى البعض أن ما انتهينا إليه من إقرار للمعارضة والتعددية أمراً يخالف الشرع ، فالنظام الإسلامى لم يعرف التعددية فى صورتها الحزبية ، بل إن النصوص تواترت بذم الأحزاب والحزبية .

والحق أن القول بأن التعددية أمر يخالف الشرع الإسلامى لا دليل عليه ، بل إن السوابق التاريخية تشهد بأن التعددية المحكومة بالإطار الشرعى العام أمر محمود يحقق مصلحة الأمة .

أما القول بأن النظام الإسلامى لم يعرف التعددية الحزبية فى صورتها المعاصرة فهو حق ، ولكن النظام الإسلامى شهد صوراً للتعددية تلائم ما كان عليه العصر من بساطة .

وأما القول بتواتر النصوص فى ذم الحزبية ، فغير صحيح ، لأن الأحزاب التى ذمتها النصوص هى أحزاب الشرك والكفر ، أما الأحزاب التى تلتزم الإسلام ، وترضى بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً ، فهى أحزاب الإيمان والله تعالى جعل المؤمنين حزباً ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) البخارى .
(٣) مسلم .
(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام - كتاب الأموال ص ٥٩ - ٦٠ .
(٥) متفق عليه .

العلم لا يحصل إلا بالنصب والمال لا يجمع إلا بالتعب ، أيها العبد الحريص على تخليص نفسه إن عزمت فبادر وإنْ هممت فثابر واعلم أنه لا يُدْرِكُ العز والمَفَاخِر من كان فى الصف الآخر .

دَبُّوا إلى المجدِ والساعُونَ قد بَلغُوا ... جُهْدَ النُّفُوسِ وَشدُّوا دُوْنَه الأُزُرَا
وسَاوَرُوْا المجدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُم ... وعَانَقَ المَجْدَ مَن وافَى ومَنْ صَبَرا
لا تَحْسَبَ المجدَ تَمْراً أنْتَ آكِلُه ... لَنْ تَبْلُغَ المجدَ حَتَّى تَلعَقَ الصَّبِرا

أسئلة القراء

عن الأحاديث

إعداد

الشيخ محمد عمرو

يسأل القارئ/ عبد المقصود على عبد الحليم طالب إعدادى بقرية المشايعة – مركز الغنائم – أسيوط ، عن حديث : « صلوا قبل المغرب ، صلوا قبل المغرب ، صلوا قبل المغرب ، لمن شاء » .

وعن كيفية الإتيان بما سُبق به فى صلاتى المغرب والعشاء من حيث الجهر والإسرار ، والإتيان بسورة بعد الفاتحة أو عدمه . وعن سؤال ثالث يجمع بين التفسير والعقيدة أحيله على أهل الاختصاص نفع الله بهم ، وهو عن معنى قول الله عز وجل : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ .

* أما الحديث ، فهو صحيح ، رواه البخارى (٢/٧٤، ٩/١٣٨ شَعْب)

وغيره من حديث عبد الله ابن مُغَفَّل المُزَنى رضى الله عنه بنحو ما فى السؤال ، وفيه زيادة : « كراهية أن يتخذها الناس سُنَّة » . أى : شريعة وطريقة لازمة كما فى «الفتح» (٣/٧٢ رَيَّان). ثم روى البخارى – عَقِبَه فى الموضع الأول – عن مرثد بن عبد الله اليزنى ، قال : « أتيت عُقبةَ بن عامر الجهنى ، فقلت : ألا أعجبك من أبى تميم ، يركع ركعتين قبل صلاة المغرب . فقال عقبة : إنا كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ . قلت : فما يمنعك الآن ؟ قال : الشغل » .

وفى رواية للحديث الأول عند البخارى (١/١٦١، ١٦٢) ومسلم (٢/٢١٢) : « بين كل أذانين صلاة ، بين كل أذانين صلاة » ثم قال فى الثالثة – وفى رواية لمسلم : فى الرابعة –: « لمن شاء » .

وفى الباب أحاديث أخرى . أما ما رُوِى عن بريدة مرفوعاً : « إن عند كل أذانين ركعتين ما خلا المغرب » ، فهو حديث منكر سنداً ومتناً ، بل أشار البيهقى رحمه الله إلى بطلانه بحديث ابن مغفل . واشتهر على ألسنة العوام قولهم :

«المغرب جوهرة فالتقطوها» أو : « المغرب غريب » ، ونحو ذلك مما يستدلُّون به على ضرورة تعجيل الإقامة وترك التنفل قبلها ، وهذا مما لا أعلم له أصلاً عن النبى ﷺ أو أحد من سلف الأمة . وانظر « السلسلة الصحيحة » (٢٣٣ ، ٢٣٤) وتعليق الشيخ الألبانى حفظه الله على الحديث (٦٦٢) من «مشكاة المصابيح» تجد تحقيقاً نفيساً لهذه المسألة التى كثُر فيها اللغط بغير مبرر .

* وأما السؤال الآخر ، فلم أرَ الإجابة عليه إلا لتعلقه بالحديث وانبنائه على الترجيح الحديثى فى المقام الأول . والخلاصة أن المترجح أن ما يدركه المسبوق مع إمامه هو أول صلاته ، فعليه أن يكمل ما فاته لقوله ﷺ فيما رواه البخارى (١/١٦٣، ١٦٤) ومسلم (٢/١٠٠، ١٠١) من حديث أبى هريرة وأبى قتادة : « فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا » وفى رواية مرجوحة فى حديث أبى هريرة : « فاقضوا » . وفى أخرى : « صلّ ما أدركت ، واقض ما سبقك » . وحرَّر بعض العلماء أن لا تعارض بينهما ، واستدلوا على ذلك بآيات من كتاب الله عز وجل من نحو قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ ﴾ والله المستعان .

ويسأل القارىء / جمال عبد العال محمد عامر - أجهور الرمل - قويسنا - منوفية عن أحاديث يتيسر الآن الجواب عن أحدها ، وهو ما عزاه لابن ماجه (١/٤٣٧) عن أبى هريرة مرفوعاً : « من صلى ست ركعات بعد المغرب لم يتكلم بينهن بسوء ، عدلت له عبادة اثنى عشرة سنة » كذا قال ، والصواب : « اثنتى عشرةَ سَنَةً » فهذا حديث منكر ، ضعيف جداً ، رواه أيضاً الترمذى فى « جامعه » (٤٣٥) وعنه البغوى فى « شرح السنة » (٣/٤٧٣) وابن الجوزى فى « الواهيات » (٧٧٥) - تحت عنوان (حديث فى فضل ست ركعات بعد المغرب) - و (٧٧٧)- تحت عنوان (صلاة أخرى بين العشائين):- ورواه ابن خزيمة فى « صحيحه » (١١٩٥) باب (فضل التطوع بين المغرب والعشاء) - عقب حديث حذيفة رضى الله عنه « أنه صلى مع النبى ﷺ المغرب ثم صلى حتى صلى العشاء » وغيرهم من طرق عن زيد بن الحباب حدثنا عمر بن أبى خثعم اليمامى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة به نحوه . ورواه ابن حبان فى ترجمة (عمر بن راشد اليمامى) من « المجروحين » (٢/٨٣-٨٤)- حيث

خلط بينه وبين ابن أبى خثعم - عنه عن يحيى بن أبى كثير به .

وقال الترمذى : « حديث أبى هريرة حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث زيد بن الحباب عن عمر بن أبى خثعم » .

قال : « وسمعت محمد بن إسماعيل (يعنى : البخارى) يقول : عمر بن عبد الله بن أبى خثعم منكر الحديث . وضعَّفه جداً » .

وذكر ابن الجوزى الفقرة الأولى من كلامه ، وقال : « قلت : قال أحمد بن حنبل : عمر لا يساوى حديثه شيئاً . وقال البخارى : هو منكر الحديث ، وضعفه جداً . وقال ابن حبان : لا يحل ذكره إلا على سبيل القدح ، يضع الحديث على الثقات » . أما فى الموضع الثانى ، فاقتصر على كلام الترمذى بتمامه .

وأورده الشيخ الألبانى حفظه الله فى «الضعيفة» (٤٦٩) ، وضعَّفه جداً . وقد عزاه إلى ابن ماجه فى موضعين ، وهذا موافق لما فى « تحفة الأشراف » (١٥٤١٢) ، وهو فى « سننه » (٣٦٧/١ برقم ١١٦٩) عن أحد شيخيه فى الموضع الثانى عن أبى الحسين العكلى (وهو زيد بن الحباب) به .

وبعد ، فإن الحديث عليه أمارة من أمارات الوضع التى بينها العلامة ابن القيم رحمه الله فى كتابه النفيس « المنار المنيف » ، وهى المجازفة . وهى متمثلة هنا فى المبالغة فى تقرير الثواب . والله المستعان .

لله دَرُّ رِجَالٍ وَاصلُوا السَّهَرَا ... واستَعْذبُوا الوجْدَ والتَّبريْحَ والفِكَرا

فهُمْ نُجُومُ الهُدَى واللَّيْلُ يَعْرِفُهُم ... إذا نظَرْتَهُمُوا هُمْ سَادَةٌ بُرَرَا

كُلٌّ غَدَا وَقْتُه بالذِّكْر مُشْتَغِلاً ... عَمَّا سِوَاهُ وِللَّذَاتِ قَدْ هَجَرَا

يُمْسِى ويُصْبِحُ فى وجْدٍ وفى قَلَقٍ ... مِمَّا جَنَاهُ مِن العصيان مُنْذَعِرَاً

يَقُولُ يَا سَيِّدِى قَدْ جِئتُ مُعْتَرِفاً ... بالذَّنْبِ فاغْفِرهُ لِى يا خَيْرَ مَن غَفَرَا

حَمَلْتُ ذَنباً عَظِيْماً لا أُطِيْقُ لَهُ ... ولم أُطِعْ سَيِّدِى فى كُلِّ ما أَمَرَا

عَصَيْتُهُ وهْوَ يُرخى سِتْرَهُ كَرَماً ... يا طَالَما قَد عَفَا عَنى وَقَدْ سَتَرَا

وطَالَمَا كَانَ لِى فى كُلِّ نَائِبَةٍ ... إذا اسْتَغَثْتُ بِهِ مِنْ كُرْبةٍ نَصَرا

وإنَّنى تَائِبٌ مِمَّا جَنَيْتُ وقَدْ ... وَافَيْتُ بَابَكَ يا مَوْلاَى مُعْتَذِرَا

لَعَلَّ تَقْبَلَ عُذْرِى ثم تَجْبُرُنى ... يَوْمَ الحِسَابِ إذا قُدِّمْتُ مُنْكَسِرَا

وقَدْ أَتَيْتُ بذُل رَاجياً كَرَماً ... إليكَ يا سَيِّدِى قَدْ جِئْتُ مُفْتَقِرَا

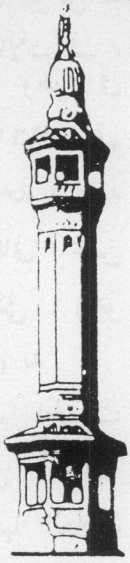

الفتاوى

إعداد

لجنة الفتوى

بالمركز العام

رئيس اللجنة

محمد صفوت نور الدين

أعضاء اللجنة

صفوت الشوادفى

د. جمال المراكبى

لماذا وصف الرسول صلى الله عليه وسلم النساء بأنهن

س : تسأل نجاح عبد الغنى شكر - أشمون - منوفية . لماذا وصف النبى ﷺ النساء بأنهن ناقصات عقل ودين ، وما معنى هذا النقص ، وهل الكمال فى الرجال دون النساء ؟

والجواب .. وصف النبى ﷺ النساء بأنهن ناقصات عقل ودين تنبيهاً لهن إلى وجوب تكميل هذا النقص بالصدقة وبالعمل الصالح ، وبترك الفواحش ومنها كثرة اللعن ، وتنبيهاً لهن على معرفة حق الزوج ، وفسر النبى ﷺ نقص عقلها بلازم من لوازمه ، وهو أن الشرع جعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل وذلك لأنها سرعان ما تنسى فتذكرها الأخرى .

﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِجَالِكُمْ ، فَإِن لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ ﴾ .

وفسر النبى ﷺ نقصان دينها بأنها تترك الصلاة والصوم حال الحيض ، وهذا وإن كانت معذورة فيه بل ومأمورة بترك الصلاة والصوم أثناءه إلا أن حال الرجل فى ذلك أكمل .

وقد جمع النبى ﷺ هذا كله فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى وغيره عن أبى سعيد الخدرى قال : خرج رسول الله ﷺ فى أضحى - أو فى فطر - إلى المصلى ، فمر على النساء فقال : « يا معشر النساء

ناقصات عقل ودين؟

تصدقن ، فإني أريتكن أكثر أهل النار » .

فقلن : وبم يا رسول الله ؟

قال : « تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن » .

قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟

قال : « أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ »

قلن : بلى .

قال : « فذلك من نقصان عقلها .

أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ »

قلن : بلى .

قال : « فذلك من نقصان دينها » .

فالنبى ﷺ يحذر النساء من النار ، ويأمرهن بأسباب النجاة من الصدقة والعمل الصالح وفي ذلك تنبيه للرجال إلى وجوب معاملة المرأة برفق ولين وذلك بما يتناسب مع ضعفها ونقصها ، ليأخذ بيدها إلى الجنة ، وإلى عدم الافتتان بهن بما قد يؤدى إلى الهلاك .

والرجال بصفة عامة أكمل من النساء ، وهذا واضح من مفهوم هذا الحديث ، ولهذا كلف الله الرجل بالإنفاق على المرأة ومنحه القوامة عليها .

وليس معنى هذا أن كل رجل أكمل من كل امرأة ، فهناك رجال كثيرون قد نقص عقلهم ودينهم ، فالفاسق ناقص العقل والدين ، فضلاً عن الكافر ، لأنه آثر الدنيا الفانية على الآخرة الباقية وباع دينه بدنياه ، وكل من فرط فى واجب شرعي أو تجرأ على محرم شرعاً فهو ناقص فى العقل والدين .

وهناك نساء فاضلات كاملات وهن أهل الإيمان والتقوى ، والكمال درجات ، والنقص كذلك درجات .

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى أن النبى ﷺ قال : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » .

نسأل الله تعالى أن يسد عجزنا ويجبر ضعفنا ويوفقنا لما يحب ويرضى .

حكم قيادة المرأة للسيارات ..

فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وأصحابه ومن اهتدى بهداه . أما بعد ...

فقد كثرت الأسئلة عن حكم قيادة المرأة للسيارة ،

والجواب :

لا شك أن ذلك لا يجوز لأن قيادتها للسيارة تؤدى إلى مفاسد كثيرة وعواقب وخيمة منها الخلوة المحرمة بالمرأة ، ومنها السفور ، ومنها الاختلاط بالرجال بدون حذر ، ومنها ارتكاب المحظور الذى من أجله حرمت هذه الأمور ، والشرع المطهر منع الوسائل المؤدية إلى المحرم واعتبرها محرمة . وقد أمر الله جل وعلا نساء النبى ونساء المؤمنين بالاستقرار فى البيوت ، والحجاب ، وتجنب إظهار الزينة لغير محارمهن لما يؤدى إليه ذلك كله من الإباحية التى تقضى على المجتمع . قال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [**سورة الأحزاب الآية ٣٣**] ، **وقال تعالى :** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [**سورة الأحزاب الآية ٥٩**] ، **وقال تعالى :** ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [**سورة النور الآية ٣١**] .

وقال النبى ﷺ : « ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما » فالشرع المطهر منع جميع الأسباب المؤدية إلى الرذيلة بما فى ذلك رمى المحصنات الغافلات بالفاحشة وجعل عقوبته من أشد العقوبات صيانة للمجتمع من نشر أسباب الرذيلة . وقيادة

المرأة من الأسباب المؤدية إلى ذلك وهذا لا يخفى ولكن الجهل بالأحكام الشرعية وبالعواقب السيئة التى يفضى إليها التساهل الوسائل المفضية إلى المنكرات مع ما يبتلى به الكثير من مرضى القلوب ومحبة الإباحية والتمتع بالنظر إلى الأجنبيات كل هذا يسبب الخوض فى هذا الأمر وأشباهه بغير علم وبغير مبالاة بما وراء ذلك من الأخطار ، وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

وقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] وقال ﷺ : « ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى ؛ فقلت : يا رسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر فجاء الله بهذا الخير فهل بعده من شر ؟ قال : « نعم » ، قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : « نعم وفيه دخن » قلت : وما دخنه ؟ قال : « قوم يهدون بغير هديى تعرف منهم وتنكر » . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : « نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها » . قلت : يا رسول الله صفهم لنا ؟ قال : « هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » . قلت : فما تأمرنى إن أدركنى ذلك ؟ قال : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » . قلت : فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة ؟ قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » متفق عليه) .

وإنى أدعو كل مسلم أن يتقى الله فى قوله وفى عمله ، وأن يحذر الفتن والداعين إليها وأن يبتعد عن كل ما يسخط الله جل وعلا أو يفضى إلى ذلك ، وأن يحذر كل الحذر أن يكون من هؤلاء الدعاة الذين أخبر عنهم النبى ﷺ فى هذا الحديث الشريف . وقانا الله شر الفتن وأهلها وحفظ لهذه الأمة دينها وكفاها شر دعاة السوء ووفق كتاب صحفنا وسائر المسلمين لما فيه رضاه وصلاح أمر المسلمين ونجاتهم فى الدنيا والآخرة إنه ولى ذلك والقادر عليه .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣٣ .

(٢) سورة البقرة الآيتان ١٦٨ ، ١٦٩ .

حكم جمعيات الموظفين وغيرهم

تجيب عليه هيئة كبار العلماء بالسعودية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير الخلق أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين . أما بعد :

فقد نظر مجلس هيئة كبار العلماء فى دورته الرابعة والثلاثين المنعقدة فى مدينة الطائف ابتداء من ١٤١٠/٢/١٦هـ إلى ١٤١٠/٢/٢٦هـ فى الاستفتاءات المقدمة من بعض الموظفين مدرسين وغيرهم إلى سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد والمحالة من سماحته إلى المجلس عن حكم ما يسمى بجمعيات الموظفين وصورتها : « أن يتفق عدد من الموظفين يعملون فى الغالب فى جهة واحدة مدرسة أو دائرة أو غيرهما على أن يدفع كل واحد منهم مبلغاً من المال مساوياً فى العدد لما يدفعه الآخرون وذلك عند نهاية كل شهر ثم يدفع المبلغ كله لواحد منهم وفى الشهر الثانى يدفع لآخر وهكذا حتى يتسلم كل واحد منهم مثل ما تسلمه من قبله سواء بسواء دون زيادة أو نقص » .

كما اطلع على البحث الذى أعده فضيلة الشيخ عبد الله بن سليمان المنيع فى حكم القرض الذى يجر نفعاً . ثم جرت مداولات ومناقشات لم يظهر للمجلس بعدها بالأكثرية ما يمنع هذا النوع من التعامل لأن المنفعة التى تحصل للمقرض لا تنقص المقترض شيئاً من ماله ، وإنما يحصل المقترض على منفعة مساوية لها ، ولأن فيه مصلحة لهم جميعاً من غير ضرر على واحد منهم أو زيادة نفع لآخر . والشرع المطهر لا يرد بتحريم المصالح التى لا مضرة فيها على أحد بل ورد بمشروعيتها .. وبالله التوفيق .. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

هيئة كبار العلماء

بيان من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

لقد حرم الإسلام على المسلم أن يرتد عن دينه ، وجاء فى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ، فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ(٢١٧) ﴾ . [سورة البقرة]

وتحصل الردة بإنكار ما علم من الدين بالضرورة كالعقائد وأركان الإسلام الأساسية أو بالاستهزاء بها والطعن فى صلاحيتها لتقويم الفكر والسلوك ..

وقرر العلماء أن يستتاب المرتد لمدة فيها آراء متعددة .. فإذا رجع وتاب فيها ، وإلا وجبت عقوبته ، وجاء فى تحديد العقوبة قوله ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » ولا يمكن لأية عقوبة أن تتم إلا بأمرين :

أولهما : التأكد من ثبوت الجريمة ، واستقصاء كل ملابساتها والاطمئنان إلى أنه لا توجد أية شبهة فيها ، وذلك بناء على قول النبى ﷺ : « ادرءوا الحدود بالشبهات » .

ولا يكون هذا التأكد إلا بمعرفة المسئولين المختصين .. الذين يملكون من الوسائل ما يمكنهم أن يحققوا أركان الجريمة وينفوا الشبهات عنها .

وثانى الأمرين : أن العقوبة إذا وجبت لا يجوز تنفيذها إلا بمعرفة من قاموا بتحقيق أسبابها وهم المسئولون .

ومن هنا لا يجوز لأحد من الناس أن يتهم إنساناً بالردة بدون علم حقيقى بثبوتها ، وحتى لو حصل العلم بثبوتها لا يجوز له أن يوقع العقوبة عليه . فالحدود بالذات لا توكل لأحد من الناس . بل يقوم ولى الأمر بتنفيذها بعد استقصاء كل الإجراءات المطلوبة ، ومن اتهم أحداً بالكفر أو الردة دون علم حقيقى صدق عليه قول الرسول ﷺ : « من قال لأخيه يا كافر باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه » .

ومن وقع عقوبة حدية بدون إذن من ولى الأمر فقد ارتكب إثماً عظيماً ، له عقوبته الشديدة فى الآخرة . ويجوز لولى الأمر أن يعاقبه عقوبة تعزيرية ، وذلك منعاً للفوضى وإقراراً للأمن ، والنظام والأمن من أهم الأسباب التى تحقق للفرد والمجتمع تمتعه بحقوقه الإنسانية ، وتساعد على رخائه وتقدمه ..

وإن لجنة الفتوى بالأزهر ترى من الواجب عليها أن توضح الحكم الشرعى فيما يجد من مسائل ؛ وضعاً للأمور فى نصابها ، وتلافياً لما يحدث من أضرار ، نتيجة الجهل بالأحكام الشرعية ..

ظلمات التنوير وضلالات التجديد

يحاول العلمانيون دائماً نشر الظلمات وتغريب الأمة وتغييب عقلها ، وذلك تحت ستار محاربة الإرهاب أو التنوير أو التجديد ، ويرومون إحياء ضلالات قديمة لمشبوهى الفكر كطه حسين ولسنا بصدد تتبع أقوال طه حسين وضلالاته ، فقط نذكر نماذج منها حتى نكون على بينة .

يقول طه حسين : « لنجتهد أن ندرس الأدب غير حافلين بتمجيد العرب أو الغض منهم ، ولا مكترثين بنصر الإسلام أو النعى عليه » ، بل قد طعن عميد الأدب – زعموا – فى القرآن والكتب السماوية بقوله : « للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً .. ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى فضلاً عن إثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها ، ونحن مضطرون إلى أن نرى فى هذه القصة نوعاً من الحيلة فى إثبات الصلة بين العرب واليهود من جهة ، وبين الإسلام واليهودية والقرآن من جهة أخرى » .

ومن العجب أن طه حسين يقول إنه لم يفهم القرآن فى الأزهر وفهمه فى فرنسا على يد (كازانوفا) ، فيقول – مصوراً إعجابه بـ (كازانوفا) الذى علمه التفسير فى (الكيوليج دى فرانس) : « عرفته أستاذاً ولم أكد أسمع له حتى أعجبت به إعجاباً لم أعرف له حداً ، كان يفسر القرآن وكنت حديث العهد بباريس ، كنت شديد الإعجاب بطائفة من المستشرقين ، ولكنى لم أكن أقدر أن هؤلاء المستشرقين يستطيعون أن يعرضوا فى إصابةٍ وتوفيقٍ لألفاظ القرآن ومعانيه والكشف عن أسراره وأغراضه ، فلم أكد أجلس إلى (كازانوفا) حتى تغير رأيى أو قل : حتى ذهب رأيى كله ، وما هى إلا دروس سمعتها منه حتى استيقنت أن الرجل كان أقدر على فهم القرآن وأمهر فى تفسيره من هؤلاء الذين يحتكرون علم القرآن ويرون أنهم خزنته وسدنته وأصحاب الحق فى تأويله » – يقصد علماء الأزهر – وما أشار إليه طه حسين عن (كازانوفا) ملىء بالمغالطات ، فلم يفهم كازانوفا فى القرآن ما يفهمه علماء المسلمين ، وإنما يفهمه ويبحثه من خلال المفهوم الاستشراقى للقرآن حيث يرى الحرية المطلقة فى القول بأن القرآن من كلام محمد ، وأن آيات القرآن يمكن أن توصف بالقوة والضعف ، وهذا المنهج الذى تعلمه طه حسين من (كازانوفا) هو الذى طبقه فى كلية الآداب وسجله تلميذه محمود المنجورى ونشره فى مجلة الحديث الحلبية .

البدع الصوفية فى قيام الليل

من بدع الصوفية فى قيام الليل

* يحتفل الكثير من العوام فى هذا الشهر بمولد النبى ﷺ ويتخذون ذلك موسماً تنصب فيه السرادقات وتعلق التعاليق وتضرب الصواريخ، وتصنع تماثيل الحلوى مع اجتماع الرقاصين والرقاصات والطبالين والزمارين، وكلها من البدع التى أحدثها الباطنية المنسوبون زوراً وبهتاناً لآل البيت وهم الذين تسموا بالفاطميين، ومن شاء البسط فليراجع السنن والمبتدعات (ص١٣٨ - ١٤٠)، وعدد ربيع الأول من مجلة التوحيد للعام الماضى..

أما حديثنا اليوم فعن قيام الليل، والمعروف أنه قربة من أعظم القربات، وأفضل الصلاة بعد الفريضة، وهى دأب الصالحين، ومكفرة للسيئات، منهاة عن الإثم، قال تعالى: ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾، وقال عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً ﴾، ولذا

أرشد النبى ﷺ معاذاً - لما سأله عن أبواب الخير - إلى القيام فى جوف الليل ثم تلا قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ ففضائل قيام الليل كثيرة لا يتسع المقام لذكرها.

غير أن المبتدعة من الصوفية وغيرهم أحدثوا فى القيام ما ليس منه، وجعلوه ذريعة إلى مفاسد أخرى، فمن ذلك ما ذكره الشقيرى - رحمه الله - (ص١٨٨ - ١٨٩) قال: «يقوم الدرويش المربى بعد نصف الليل بساعة أو ساعتين فيتوضأ ويصلى ركعتين فى ربع دقيقة، ثم يجلس تحت السبحة الغليظة المعلقة فى السقف.. ثم يقرأ الفاتحة لشيخه ومشايخه وأصحاب السلسلة وأصحاب التصريف والأغواث والأقطاب والأنجاب والأبدال.. ثم يناديهم قائلاً: (يا هوه ولدكم راعوه) ثم ينادى المدد ويذكر كل شيخ باسمه ثم يستحضر شيخه بين عينيه ويستفتح الذكر.. قائلاً: (دستور يا عم أللوه أللوه أللوه) ثم يقوم على قدميه.. صائحاً: (اللووع اللووع) ثم (أطوح أطوح) وهذه يسمونها (طبقة السر).. ثم الطبقة الشرعية (أهلا آآه أهلا آآه) ثم ينادى: (يا أبا الحسن يا ديب، عنا لا تغيب بجاه الحبيب المدآآد) ثم يختم قائلاً - وهو طرب مسرور - (الراجل الصالح السالك المربى، اللى يبات الليل يقرأ الورد ويعيده، وفى الليالى يسلم على النبى بإيده) ثم ينام قبل الفجر بنصف ساعة حتى يضحى النهار، فيصلى الصبح والضحى معاً.. وهذه الشرذمة إن لم تقم العلماء فى وجوههم وأعناقهم بسيوف الكتاب والسنة فلا شك أنهم سيضلون أهل الأرض...».

سيد بن عباس الجليمى

بقلم الشيخ
أحمد طه نصر

حمداً لله وضراعةً إليه : ربَّنا آمنّا بما أنزلتَ واتبعنا الرسولَ فاكتبنا مع الشاهدين . ربّنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ، هذه الآياتُ تجيءُ فى آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم طاعة شرائع الله عزّ وجل وتبديلهم الدين الحق الذى أوحاه العظيم وأرسلَ به خيرَ رسله صلى الله عليه وعليهم أجمعين القائل من حديث الشيخين « لا أحدَ أحبَّ إليه العذر مِنَ الله تعالى مِنْ أجل ذلكَ أرسلَ رسله وأنزل كتبه » وفى الكتاب الكريم بيانٌ وتهديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ لمنْ سوّف بإيمانه وتوبته إلى وقت لا ينفعه ذلك . عند اقتراب الساعة وظهور أشراطها ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ . يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ ، فيومَ تأتيهم الملائكةُ ستأتيهم لتقبضَ أرواحهم . أو تدمّرهم . ويومَ يأتى ربُّك سيكون ذلك للحشر والحساب كقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً وجِيءَ يومئذٍ بِجَهَنّم ﴾ روى مسلم حديثه ﷺ « يُؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألفَ زِمام . مع كل زِمام سبعون ألف مَلَك يجرّونها » .

ويوم يأتى بعضُ آيات ربِّك – أى علامات الساعة – ستكون الخاتمة التى لا يقبل بعدها إيمان . بل تكون فصل الخطاب فإن كانوا يريدون الانتظار إلى ذلك الموعد فَدعْهم ﴿ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُون ﴾ روى البخارى فى تفسير الآية قوله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها

فإذا رآها الناسُ آمنَ مَنْ عليها فذلكَ حِينَ لا ينفعُ نفساً إيمانها لم تكن آمنتْ من قبل » كما روى مسلم أنه ﷺ قال : « ثلاثٌ إذا خرجْنَ لا ينفع نفساً إيمانها : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض » وصدق الله العظيم : ﴿ فَهَلْ يَنظُرونَ إِلَّا السَّاعَةَ أن تَأْتِيهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُم ذِكْرَاهُمْ . فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلٰه إِلَّا الله واسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ ﴿ يَوْمئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وأَنَّىٰ لَه الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾ حيث لا ينفعُ الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ، فليكن التوحيدُ مِنَ العبودية لله وحده . والبراءة من كل ما اتخذَ الناسُ مِنْ دونه مِنْ آلهة وأولياء . ليكنْ ذلك الحق هو دِينُك وزَادُك فتوحيدُ الله عزّ وجل هو السلامة والنجاة . ولأهله سِمَةُ الرحمة والمغفرة والفوز بالجنة يوم القيامة . ومن حديثٍ قُدسيٍّ يقول سبحانه : « لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تُشركُ بى شيئاً لأتيتكَ بقرابها مغفرة » ، وفقرة من حديث جبريل عليه السلام عند الشيخين : أخبرنى عن أمارتها قال ﷺ : « أنْ تَلِدَ الأمةُ ربَّتها . وأنْ ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاءِ يتطاولون فى البنيان » بمعنى انغماس الناس وتكالبهم على الدنيا وترفها غافلين عن آخرتهم روى مسلم وأحمد وأهل السنن عن حذيفة الغفارى رضى الله عنه قال : أشرفَ علينا رسولُ الله ﷺ من غرفة ونحنُ نتذاكرُ أمر الساعة فقال : « لا تقومُ الساعةُ حتى تَروْا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها . الدخان . الدابة . يأجوج ومأجوج . الدجال . عيسى ابن مريم عليه السلام . وثلاثة خسوف : خسفٌ بالمغرب وخسفٌ بالمشرق وخسفٌ بجزيرة العرب . ونارٌ تخرج من قعر عدن تسوق الناس وتحشرهم تبيتُ معهم حيثُ باتوا وتقيلُ معهم حيث قالوا » ، مسلم أيضاً عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : حفظتُ من رسول الله ﷺ حديثاً لم أَنْسهُ بعدَ ما سمعته يقول : « إنَّ أولَ الآيات خُروجاً طلوع الشمس من مغربها . وخروج الدابة على الناس ضحى . وأيتهما كانت قبل صاحِبتها فالأخرى على أثرها قريباً » ، مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ قال : « بادروا بالأعمال ستة : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدجال ، والدابة ، وخاصة أحدكم ، وأمر العامة » خاصة أحدكم : ساعتكم ونهاية أجلكم ، وأنه لنْ تكون هناك نجاةٌ إلا بالاستقامة على الدين اعتصاماً بالله عزّ

وجل : ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ وأمر العامة من مسئولية التبليغ والنصح عملاً بقوله تعالى : ﴿ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٥] وفى معناه روى البخارى « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » . قيل : كيف إضاعتها ؟ قال : « إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » .

الشمس: أخرج الشيخان أنه ﷺ قال: «أتدرى أين تذهبُ الشمسُ إذا غربت يا أبا ذر ؟ » قلتُ : لا أدرى !! قال : « إنها تنتهى دُونَ العرش فتخرُّ ساجدة لله عزّ وجل ثم تقومُ حتى يُقال لها ارجعى . فيوشك أنْ يقال لها ارجعى من حيث جئتِ وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » .

الدابة : قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل / ٨٢] وعن ابن عباس وعطاء رضى الله عنهم : تكلمهم كلاماً وتقول لهم : كذبتم فاستقبلوا ما تستحقون . لأنّ بخروجها ينقطع الخير ، بدليل قوله تعالى بعدها : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل / ٨٣] أى يُجمعون ويُساقون بعنف ، وهى آية خاصة خارقة للعادة بكلامها .

الدخان: أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه حول قوله تعالى : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الدخان / ١٠] حينما بلغه مَنْ يقول : دُخانٌ يأتى يوم القيامة يأخذُ بأسماع وأبصار المنافقين . ويُصيبُ المؤمنين منه شبه الزكام . ففزع وقال إنّ الله عزّ وجل قال لنبيكم ﷺ : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ إن من العلم أنْ يقولَ الرجلُ لما لا يعلم : الله أعلم . سأحدثكم عن ذلك ، إنّ قريشاً لما أبطأت عن الإسلام واستعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم بسنين كسنى يوسف عليه السلام فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان من الجهد . فذلك فارتقب إلى قوله : ﴿ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فأُتى رسول الله فقيل له : يا رسول الله استسق لمضر فإنها قد هلكت فاستسقى لهم فسقوا فنزلت : ﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ قال ابن مسعود : فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم

فأنزل الله عز وجل ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ قال يعنى يوم بدر ، وظاهر القرآن أنّ الدخان من الآيات المنتظرة ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ أى بيِّنٌ واضح يراه كل أحد ، أما على ما فسره ابن مسعود فإنما هو خيال رأوْهُ فى أعينهم من شدة الجوع والجهد ، لعله إشفاق منه ﴿ والذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا - أى الساعة - ويَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴾ كذلك ظاهر القرآن ﴿ يَغْشَى النَّاسَ ﴾ أىْ يتغشاهم ولو كان خيالاً يخصّ أهل مكة المشركين لما قيل فيه يغشى الناس ، فكلمة الناس تشمل أهل مكة وغيرهم . كذلك روى ابن جرير بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال ابن مسعود : البطشة الكبرى يوم بَدْرٍ وأنا أقول هى يوم القيامة ، وأيًّا كان الرأى فالأمر جدُّ خطير ، اللهمَّ اختم لنا بالإيمان .

الدجال: أخرج الشيخان « أن الدجال - أعاذنا الله منه - يخرجُ وإنّ معه ماءً وناراً فالذى يراه الناسُ ماءً فنارٌ تحرق . وأما الذى يراه الناسُ ناراً فماءٌ باردٌ عذبٌ . فمن أدركه منكم فليقع فى الذى يراه ناراً فإنه ماءٌ عذبٌ طيب » ومسلم : « أنه خارج من خُلةٍ بين الشام والعراق . يخرج الدجال فيمكثُ أربعين لا أدرى أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً فيبعث الله عيسى عليه السلام ابن مريم فيطلبه فيهلكه ثم يمكثُ الناسُ سبعَ سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة من قِبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ فى قلبه ذرةٌ من خير إلا قبضته ويبقى شرار الناس فيتمثل لهم الشيطان فيأمرهم بعبادة الأوثان - من النصب والمقاصير التى تنصبُ وتعظم باسم أولياء وصالحين إفكاً منهم وزُوراً - ثم ينفخ فى الصور » ورواية أخرى لمسلم : « إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس فيتهارجون فيها تهارج الحمرُ فعليهم تقوم الساعة » ورواية : « لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول : لا إله إلا الله » ورواية : « شِرار الخلق مَنْ تدركهم الساعة وهم أحياء والذين اتخذوا على القبور مساجد » .

وفى صحيح مسلم « ليسَ مِنْ بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة . وليسَ نقبٌ من أنقابهما إلا عليه الملائكة صافّين تحرسُهما . ويُخرج الله منها كل كافر ومنافق ، وما بين خلق آدم عليه السلام إلى قيام الساعة أمرٌ أكبر من الدجال » ومتفق عليه : « إنه أعور كذاب وإنّ ربكم عزّ

وجل ليس بأعور ، مكتوبٌ بين عينيه - ك ف ر - أعور العين اليمنى كأن عَيْنَهُ عِنَبَة طافية » وفى الحديث : « وأعوذُ بك من شر فتنة المسيح الدجال » .

عيسى ابن مريم عليه السلام: أخرج الشيخان أن نبينا ﷺ قال: «لقيتُ عيسى ووصفه : ربعة أحمرُ جعدٌ عريضُ الصدر كأنما خرج من ديماس - حمام - »، وعندهما : « والذى نفسى بيده ليوشكنَّ أنْ ينزل فيكم ابنُ مريم حكماً عدلاً . يقتل الدجال . ويكسرُ الصليبَ . ويقتل الخنزير . ويضع الجزية - أى لا يقبلها من أهل الكتاب بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف - ويفيض المال حتى لا يقبله أحد . وحتى تكون السجدة خيراً له من الدنيا وما فيها » . ثم قرأ أبو هريرة ﴿ وإن مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ ومن رواية أحمد « وينزل الروحاء فيحجُّ منها ويعتمر » والبخارى « كيف بكم إذا نزل فيكم المسيحُ ابن مريم وإمامكم منكم » ورواية أحمد « ويُهلكُ الله فى زمانه المِلل كلها إلا الإسلام . ثم يُتوفى ويُصلّى عليه المسلمون » وصدق الله العظيم : ﴿ وإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ [الزخرف / ٦١] .

واقترب الوعد الحق : أخرج الشيخان «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهودَ حتى يختبئَ اليهودىُّ من وراءِ الحجر أو الشجر . فيقول الحجرُ والشجرُ : يا مُسْلِم هذا يهودىٌّ خلفى تعال فاقتله إلا الغرقد - شجر اليهود - » ورواية « قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطئون بلادهم فلا يأتون على شىءٍ إلا أهلكوه . ولا يمرّون على ماءٍ إلا شربوه فأدعو ربّى - أنى عيسى عليه السلام - عليهم فيُهلكهم ويُميتهم . ففيما عهد إلىَّ ربّى أنَّ ذلك إذا كان كذلك أنّ الساعة كالحامل المتمّ لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولدها ليلاً أو نهاراً » من رواية أحمد وابن ماجه

يأجوج ومأجوج : أخرج الشيخان أنَّ أمَّ المؤمنين السيدة زينب رضى الله عنها قالت : استيقظ رسولُ الله ﷺ من نومه وهو محمرٌّ وجهه وهو يقول : « لا إلٰه إلا الله . وَيْلٌ للعرب مِنْ شرٍّ قد اقترب . فُتِحَ اليومَ مِنْ رَدْمِ يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق بيده » . قلتُ يا رسول الله أنهلكُ وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم ، إذا كثر الخبث » وذكر الإمام ابن كثير رحمه الله : أنهم من سُلالة آدم عليه السلام . ومن نسل نوح عليه

السلام ، تُركوا من وراءِ السدِّ الذى بناه ذو القرنين ، وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ، وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا - أى قيام الساعة - يقولون هذا يوم عَسِر - يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ الحدب : المرتفع من الأرض، ينسلون: يُسْرعون فى المشى إلى الفساد ،وعن ابن عباس رضى الله عنه ، وروى أحمد أنه ﷺ قال : « ليحجنَّ هذا البيت وليعتمرنّ بعد خروج يأجوج ومأجوج » نعم إنها الآيات، وفى المتفق عليه «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يُقْتتلُ عليه، فيُقتلُ من كل مائة تسعة وتسعون . فيقول كل واحد: لعلى أنْ أكون أنا أنجو»، وعند البخارى: أنه ﷺ قال : « بُعثتُ أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه الوُسطى والتى تليها » لأنه خاتم النبيين والمرسلين . ختمَ الله به الرسالات والهدايات . وأمته آخر الأمم فيوشك أن يأتى أمر الله ﴿ وَمَن يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وصلى الله على نبينا محمد وآله أجمعين . والله سبحانه أعلم .

أن ظُلْمُ العبدِ نَفْسه يَكُونُ بتركِ مَا يَنْفَعُها وهى مُحْتاجة إليه وذلك فعل ما أمر الله به وبفعل ما يضرها ، وذلك المعاصى كلها .

كما أن ظلم الغير كذلك إما بمنع حقه أو التعدى عليه ، فإن الله أمر العباد بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم .

وجاء القرآن بالأمر بالإصلاح والنهى عن الفساد ، والصلاح كله طاعة والفساد كله معصية .

وقد لا يعلم كثير من الناس ذلك على حقيقته فعلى المؤمن أن يأمر بكل مصلحة وينهى عن كل مفسدة .

وكل ما أمر الله به راجع إلى العدل وكل ما نهى عنه راجع إلى الظلم .

والظلم الذى حرمه الله على نفسه أن يترك حسنات المُحْسِن فلا يَجْزِيْه بها ، أو يُعَاقِب البرىء على ما لم يَفعله من السيئات .

أو يعاقب هذا بذنب غيره ، أو يحكم بين الناس بغير العدل ونحو ذلك مما ينزه الله جل وعلا عنه وذلك لكمال عدله وحمده .

من أسباب قوة الإيمان ونوره سماع القرآن وتدبره ومعرفة أحوال النبى ﷺ ومعجزاته .

بقلم فضيلة الشيخ
عبد الرازق عيد

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إلٰه إلا هو إليه المصير . وبعد فقد ملأت الدنيا وسائلُ الإعلام الغربى فيها وغيره بكلمة الإرهاب وأصرَّت عن عمد على إلصَاق هذه التّهمة بالإسلاميين بِمُبرِّر وبغير مبرّر ، وكأنَّ الإرهاب الذى ملأ الدنيا هو من الإسلاميين وحدهم ، ونحن إذ نؤكد بداية أن هذه الكلمة غريبة على الممارسة الإسلامية الصحيحة ، وإنْ وقع من بعضهم أحياناً عن جهل وخطأ أو عن إفراط وتفريط فإن لأعداء الإسلام يد فيما يحدث بصورة أو بأخرى ، وأنَّ الله ورسوله والمؤمنين الصادقين بريئون منه ولم نعهد فى سيرة رسول الله ولا فى سيرة صحبه الكرام شيئاً من هذا .

ونحن نريد أن نسأل هؤلاء الذين مكثوا يتهمُون الإسلام والمسلمين بالإرهاب نريد أن نسألهم أولاً عن معنى هذه الكلمة حسب قاموسهم هم لأنهم الذين وضعوا المصطلح وهم الذين يستخدمونه ، هم يقولون إنّ معنى كلمة الإرهاب هو : استخدام العنف مكان الحوار لمحاولة فرض الرأى الآخر بالقوة .

ونحن نقول لهم رضينا بهذا التعريف وننكر أشدَّ الإنكار على مَنْ يستخدمهُ وإن كانوا ينتسبون للإسلام فَنَعْتَبِرُهم أساءوا للإسلام وللدعوة إليه أبلغ الإساءة وخالفوا منهج الرسول والصحابة .

لكن دعونا نَطْرحُ عليكم الأسئلة التالية ونطرحها على كل صاحب عقل سليم ونريد الإجابة عليها وبخاصة من مُنَظِّرى المصطلح ومستخدميه :

أولاً : منذ قامت الشيوعية إلى أنْ أذِنَ الله بزوالها فى بلاد الاتحاد السوفيتى السابق وما جاوره من بلاد شرق أوربا . كم من المسلمين قتل الشيوعيون ، إنهم لم يقتلوا مئات الالاف بل قتلوا الملايين من المسلمين فى تركستان وألبانيا ، ويوغوسلافيا ، وبلغاريا ، وأفغانستان وغيرها فى كل أرض دنّستها قدم الشيوعية ، واستخدم الشيوعيون وسائل وحشية فى تعذيب المسلمين ، منها قتل العلماء بطرق همجية .

ومن هذه الطُّرق الهمجية دَقّ المسامير الطويلة فى الرأس حتى تصل إلى المخ ، وإحراق المسجون بعد صبِّ البترول عليه وإشعال النار فيه وتمشيط جسم المسجون بأمشاط من حديد ، وخياطة أصابع اليدين والرجلين وشبكهما معاً . كما جمعوا نسخ المصاحف والكتب الإسلامية وأحرقوها وحوَّلوا المساجد والمدارس الإسلامية إلى مسارح ودور للسينما ، واصطبلات لخيولهم . لماذا فعل الشيوعيون ذلك ؟ لفرْض عقيدتهم الكافرة على المسلمين الموحدين قصراً ، فعلوا ذلك لإحلال عقيدة الشيوعية التى تتلخص فيما يلى : -١ -إنكار وجود الله ﴿ تَعَالَى الله عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً ﴾ .

٢ - إنكار الإيمان بالدين واعتباره مخدراً للشعوب ، وإنكار الإيمان بالغيب .

٣ - المادة أزلية وهى أساس الحياة [أى أن الحياة خلقت نفسها بدون خالق فاتخذوها إلهاً من دون الله] .

٤ - الفكر انعكاس المادة على الدماغ ، فالأحداث السياسية والاجتماعية نتيجة لذلك .

٥ - المرأة مشاع بين الرجال تأخذ لقاحها من أى رجل وتقدم نتاجها للدولة بدون اسم يحمله . أراد الشيوعيون فرْض هذا الكفر على المسلمين ، ولم يتركوهم يمارسون حقَّهم المشروع فى الحياة بدينهم الحنيف .

ألا يعد ذلك إرهاباً ؟

وفى كل مصر انتقلت إليه الشيوعية من أمصار المسلمين وحاولت التخفّى تحت مسميات عدّة فعلت ذلك المنكر بالمسلمين بأشكال وصور مختلفة وقتلوا مَنْ قتلوا وسجنوا مَنْ سجنوا مما يضيق المقام عنه الآن ، أقول لم نسمع أحداً من أصحاب الأقلام المشهرة الآن ضد المسلمين يستنكر ذلك الإرهاب بل ربما مدحه ،

ووصفه بالتقدمية ووصف الإسلام الحنيف بالتخلف والرجعية ، حتى وبعد سقوط الشيوعية فى عقر دارها لا تزال ذيولها فى بلاد المسلمين ممتدة ألا يستحون ؟ .

ثانياً : وعلى الجانب الآخر من خريطة العالم ماذا نرى ؟ لن نتكلم عن الحروب الصليبية وما أفرزته من حِقْد الأوربى ورغبته فى التحكُّم والسيطرة ، ولن نذكر ما أحدثته من قَتْل وتدمير وإنْ كانت كتب التاريخ الموثقة تشير إلى أشياء رهيبة نذكر منها ما حدث فقط أثناء الهدْنة التى كانت قائمة بين صلاح الدين وبينهم ، نَقَضَ الصليبيّون تلك الهدنة ، وأغاروا على المسلمين على حين غِرَّة ودخلوا عليهم بيت المقدس وذبحوهم وهم عُزَّل من السلاح وكما تروى مصادرهم التاريخية أنَّ خيولهم غاصت حتى رُكبِها فى دماء المسلمين داخل المسجد الأقصى . أقول لن نتحدث عن هذه المأساة لأن المسلمين وقت ذلك كانوا لا يزالون يتمسّكونَ بهويَّتهم الإسلامية واستطاعوا عندها بإذن الله أن يستعيدوا بيت المقدس من الصليبيين .

✹ ولكننا سنذكر بداية الاستعمار الحديث الذى بدا بالقضاء على الخلافة التركية ، والتى كانت آخر خلافة إسلامية . بدأ الاستعمار ومعه خطة جديدة نحو كل أثر للإسلام من القلوب ومن واقع المسلمين وإحلال الثقافة الأوربية محل الإسلام وبهذا يضمنون القضاء على روح الجهاد الإسلامى والمقاومة الإسلامية .

وبدأت هذه الخطَّة على عدة محاور فى آن واحد ، وكان أعنفها ما حدث فى تركيا ذاتها على يد كمال أتاتورك الذى فرض العلمانية على الناس بعقيدتها وعاداتها وتقاليدها ، وحاول إماتة الإسلام عقيدة وسلوكاً فى نفوس الشعب التركىّ وفى واقع الحياة التركية ولقد اعترف بذلك الرئيس أوزال قبل موته بحوالى شهر واحد وتناقلته وكالات الأنباء العالمية حيث قال : (إن النظام اللادينى ظَلَم الشعب التركى ، وإنّ العلمانية ليست لها القداسة التى فرضتها بالحديد والنار ولذلك فهى فى حاجة إلى مراجعة) .

تأمل كيف عبَّر عن العلمانية « بالنظام اللادينى » هذا هو الحق وهذه الحقيقة التى يحاول أنْ يهرب منها بعض العلمانيين ويصفونها بالعلم وهذا خداع وكذب فحقيقة العلمانية أنها نظام يقوم على أساس إقْصاء الدين عن الحياة بكل صورها وعَنْ سلُوك الناس اليومى فى واقع حياتهم . هذا المعتدل منهم ، والمتطرِّف يرى القضاء على الدين نهائياً .

● وسنذكر ما حدث فى الجزائر من عهد قريب عندما حاول الشعب الجزائرى أن يستعيد هويته الإسلامية - بعد أن حاول الاستعمار الفرنسى طمْسها - واختار الشعب الجزائرى بمحض إرادته ودون وصاية من أحد اختار ممثليه من الذين يدْعون إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله فى الجزائر فماذا حدث كُلّنا يعلم ماذا حدث للديمقراطية ؛ فقد ذبحها المتشدِّقون بها وزرفوا عليها دموع التماسيح ، بل وأعلنت فرنسا عزمها على التدخل العسكرى المباشر إذا وصل الإسلاميون إلى الحكم . فإذا لم يكن الذى حدث فى تركيا وفى الجزائر إرهاباً فما هو الإرهاب ؟

❋ والـذى يحدث فى إسرائيل [فلسطين المحتلة] على مدى نصف قرن أو أكثر من مذابح للمسلمين ابتداء بدير ياسين ، ومروراً بصبرا وشاتيلا وما يحدث كل يوم من قتل يومى واعتقال ، وتكسير لعظام الشباب ، وقتل للأطفال الأبرياء حتى بلغ عدد الأطفال المقتولين أربعة وثلاثين طفلاً فى أقل من ستة أشهر آخرهم طفل رضيع قتل يوم الأحد ١٩٩٣/٥/١٦م بعد حرمانه من الطعام لمدة ثلاثة أيام[١] .

ولا زال مسلسل القتل والاعتقال والإبعاد مستمراً ضد أصحاب الحق الذين لا يملكون حتى الحجر يلقمونه المعتدى ، فهل بعد هذا من إرهاب ؟

وما يحدث للمسلمين فى البوسنة والهرسك من إبادة جماعية بطريقة لم يسبق لها مثيل حتى فى الأندلس لمحاولة طمس كل أثر للإسلام وكذلك ما يحدث للمسلمين فى الهند ، وكشمير ، وبورما ، وسريلانكا أليس ذلك كله إرهاباً ؟

هذا الإرهاب المنظَّمُ ضد المسلمين فى كل أنحاء العالم بينما تتمتع الأقليات الأخرى فى بلاد المسلمين بكامل حقوقها .

لم نسمع من أجهزة الإعلام الغربية وَمَنْ دار فى فلكها شجباً ولا استنكاراً اللهم إلا بعض الأصوات القليلة ممن استيقظ فى حِسِّهم وخز الضمير الإنسانى من هول ما شاهدوه يحدث للمسلمين هنا أو هناك[٢] ولكنَّنا وبكل أسف لم نسمع حتى مجرد هذا الصوت المستنكر للإرهاب الدولى ضِدَّ المسلمين فى كل شبر من الأرض نعم، لم نسمع ذلك وبخاصة من العلمانيين على تفاوت درجاتهم ولا من الاشتراكيين بمختلف مذاهبهم . ذلك أن هؤلاء وأولئك يمارسون أيضاً نوعاً من الإرهاب ضدَّ الإسلام والمسلمين فهم من خلال القنوات التى تمكَّنُوا منها سواء المقروء منها أو المسموع أو المُشَاهد أو من فوق منابر التدريس فى الجامعات ، وتحت ستار حرِّية الفكر حيناً أو حرية النقد ، وينفذون من هذه النوافذ إلى الهجوم على الإسلام ، فإن قام لهم قائم بالحق والعدل يدفع زيفهم وباطلهم انطلاقاً من عقيدته وممارسة لحقِّه المشروع .

رأيتهم وقَدْ قاموا عليه قومة رجل واحد ورموه عن قوس واحدة وقذفوه بأسوأ ما يُقذَف به إنسان ، لا يتورّعون عن شىء .

والأمثلة على ذلك كثيرة لكن أقربها للأذهان(مثالان : أحدهما قريب العهد بنا ، والآخر نعايشه - أما الأول فعندما تجرأ رفيقُهم المدعو : (علاء حامد) فى قصةٍ له بعنوان [مسافة فى عقل رجل] وهاجم فيها جميع الأديان وسخِر من الله وأنبيائه أجمعين مما يستحق عليه حد الرِّدة وعندما حكم عليه القضاء بالسجن ثلاث سنوات قامت جحافلهم تُهاجم القضاء ، وتتباكى على حرّية الرأى المزعومة . وفى أيامنا هذه نسمع ضَجَّةً أخرى لأن رفيقَهم نصر أبو زيد المدرس بكلية الآداب جامعة القاهرة والذى كتب فى مؤلفاته هراءً آخر أسماه بحثاً علمياً ، وتجرّأ هو الآخر على كتاب الله ووصفه بعدم الإعجاز ، وحاول قَطْع نسبته إلى الله وهاجم الرسول ﷺ والصحابة والتابعين والأئمة المعتبرين وبخاصة الإمام الشافعى ، الذى وصفه بالمغالطة والتلفيق ، وأراد أن يترقّى بهذا الإنتاج إلى درجة

علمية أعلى ، وعندما رفضت اللجنة المختصة لما فيه من إلحاد ، يتنافى مع دين الدولة الرسمى ، قامت الأقلام المسعورة بحملة مجنونة ضدّ اللجنة ، ووصفتهم هذه المرّة بالإرهابيين . فأيهما يكون إرهاباً ؟ وبعد فهذه كلمة أخيرة أُضَمِّنها خلاصة القول : -

(أ) الإسلام ليس رأياً مطروحاً يقبل الأخذ والرد ، وليس فكراً بشرياً ينقضه فكر آخر . إنما هو دين الله الذى لا إلٰه غيره ، وهو خيار الأمة تحيا بعقيدته ، وتتحرك بشريعته إذا أرادت لنفسها حياة طيبة أو سلوكاً مستقيماً . وأى محاولة للفصل بين العقيدة والشريعة هى بمثابة الفصل بين الروح والجسد .

(ب) هذا نداء لرجال الأمن فى مصر استعينوا بالله أيها الرجال واجتهدوا فى وضع أيديكم على الجناة الحقيقيين الذين يخطِّطون لإصابة مصر وسمعتها وشعبها فى الصميم ، إن هذا الذى يحدث غريب حقاً عن مصر وعن شعب مصر ، اجتهدوا فى وضع أيديكم على مصادر ذلك الإرهاب المدبَّر والرؤوس المدبِّرة له ، واعلموا أن ما وقع فى أيديكم من شباب نُسبت إليهم هذه التهم معظمهم مُغَرَّر به وقعوا فريسة الجهل بالدين أو الحماس البعيد عن الصواب أو الإغراء بشىء ما ، فهم يحتاجون إلى إصلاحية الأحداث ، وليس إلى سجن المجرمين ، ومطلب آخر وهو كما تمنعون من ترؤنه إرهابياً أو متطرفاً إسلامياً من التدريس والوظائف المتصلة بالشباب . أليس من الأولى منع الذين يسخرون من الإسلام ويهاجمونه من التدريس بالجامعة ومن التأثير على العقول ؟

(ج) أيها الشباب المسلم فى مشارق الأرض ومغاربها اعلموا جيداً أن الإرهاب أو العنف لا يأتى بخير ، ولن يكون الطريق إلى تطبيق الإسلام هو سفْك الدماء وقتل الأبرياء فهذه الوسائل غير شرعية ، فكيف يدعو إلى الإسلام وتطبيقه مَنْ يخالف الإسلام ، ويستخدم وسائل غير مشروعة لا يقرّها الله ولا رسوله ؟ وإلى الشباب فى مصر على وجه الخصوص عوداً إلى كتاب الله وسنة رسوله وطريق أصحابه الكرام تسلموا ؛ وإلى الذين انزلقت أقدامهم فى العنف نكرر لهم القول - العنف لا يأتى بخير - ، فليس من الشَّرْع ولا العدل أن يُستخدم مع شعب مصر المسلم ما يُستخدم مع إسرائيل ، فالعودة إلى الحق خير من التمادى فى الباطل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم[٣] .

[redacted]

(١) حتى كتابة هذه السطور فى ١٤١٣/١١/٢٧هـ .

(٢) أشرنا إلى بعض هؤلاء فى مقال آخر بعنوان [وسقطت جميع الأقنعة] .

(٣) لعل الله ييسر لنا تفصيل القول فى هذا الموضوع فى مقال آخر .

شبهات حول تطبيق الشريعة الإسلامية

تحدثنا فى الحلقتين السابقتين عن الشبهات المثارة حول تطبيق الشريعة ، وذكرنا شبهتين من الشبهات وزيفناهما وبينا ما فيهما من ضلال مبين وزور وبهتان ، وأظهرنا بالحجة والبرهان ما فى الشريعة من جمال وكمال .

وفى هذه الحلقة نتحدث عن شبهة ثالثة أثيرت حول هذا الموضوع ألا وهى :

بقلم

أ.د محمد نبيل غنايم

أستاذ الشريعة – دار العلوم

الشبهة الثالثة

ج – القول بظلم المرأة واضطهادها :

يقولون : إن الشريعة الإسلامية ظلمت المرأة وقست عليها حيث سمحت للرجل بالتعدد فى الزوجات ، وأعطت الرجل وحده الحق فى الطلاق فاستبد به وأساء استغلاله ، وجعلت الرجل قيماً على المرأة فأهدر إنسانيتها واستعبدها ، وأعطتها نصف ما يأخذ الذكر من الميراث إلى غير ذلك مما أثير حول المرأة فى التعليم ، والحجاب ، والحقوق السياسية .

القول بظلم المرأة واضطهادها

والحق الذى لا ادعاء فيه ولا مجاملة أن هذه الاتهامات باطلة ولا دليل عليها فمن ينظر إلى التشريع الإسلامى ويتفهم أسراره ومراميه يجد بكل وضوح جمال الإسلام وعظمة تشريعه ، ويقف فوراً على سخف هذه الادعاءات .

إن المرأة فى ظل الشريعة الإسلامية أصبحت إنساناً بعد أن كانت قبل ذلك تعد شيطاناً أو شيئاً لا أهمية له ، وبعد أن كانت تهدر إنسانيتها فى كل شىء ، لقد أنصفتها الشريعة إنصافاً ليس له مثيل قبله ولا بعده ، وأقامت العدل بينها

وبين الرجل فى كل شيء : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة/٢٢٨].

فهى فى التشريع الإسلامى مساوية للرجل فى الإنسانية والأصل والمصير ، ومطالبة مثل الرجل بالعمل ولها من الجزاء مثل ما للرجل ، ولها من الأهلية فى التملك والتصرف فيما تملك مثل ما للرجل ، بينما لا تزال عند أعداء الإسلام ناقصة الأهلية ومبتذلة فى كل شيء[1].

إن المرأة فى ظل التشريع الإسلامى تعلم وتؤدب تماماً كالرجل ، وتعمل ولكن فى حدود الالتزام بمنهج الإسلام وقواعده فى اللباس والزينة وعدم الخلوة بالرجل وغض البصر ... إلخ ... وإذا تقدم لها من يتزوجها فلا تزوج حتى تراه وتوافق عليه وتأذن فى ذلك ، ولها الصداق ملكاً خالصاً لها تأليفاً لقلبها وتهيئة للحياة الزوجية القادمة ، وفى بيت الزوجية لها من الحقوق مثل ما عليها ، وكل ما فرق فيه الشارع بينها وبين الرجل إنما هو لتحقيق المصلحة العامة وتنظيم استمرار العلاقة على أحسن وجه ، فقوامة الرجل التى جعلوها مشكلة إنما هى لتنظيم الأمور وتسييرها بهدوء لصالح الأسرة ، وفى مقابل هذه القوامة تحمل الرجل كل مطالب الإنفاق ، ولهذا قالت الآية الكريمة :

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء/٣٤].

هذا فضلاً عما هيأ الله - عز وجل - به كلاً منهما لتحمل مسئوليات معينة لا تستقيم مع الآخر ، والقوامة من هذه المسئوليات ، والفطرة تقضى بذلك ، فكثيراً ما سمعنا أن خلافات حادة نشأت بين الزوجين فى غيبة قوامة الرجل ، فهذه امرأة مسيطرة ، وهذه امرأة لا تحب زوجها لأنه ضعيف الشخصية ، وأخرى كرهته لأنه لا يحميها ولا يغار عليها ، وهكذا ، فكان التشريع الإسلامى بالقوامة أقرب إلى الفطرة وإلى الانسجام .

وإذا كان الإسلام قد أعطى حق الطلاق للرجل فليس ذلك مجاملة له ولا ظلماً للمرأة ، إنما هو العدل فى أعلى صوره ، فالرجل هو الذى أسس هذا البيت وأقام هذه العلاقة ، ودفع الصداق ، وتحمل الإنفاق ، فمن الطبيعى أن يكون أكثر حرصاً على استمرار العلاقة والتشبث بها أكثر من المرأة التى لم تتحمل من ذلك شيئاً ، هذا علاوة على التكوين السيكلوجى فى

التأثر بما يقع عند كل منهما ، وإذا كان بعض الرجال أو النساء على عكس ذلك ، فهؤلاء شواذ .

والتشريع حين شرع الطلاق قيده بقيود[٢] ترفع أى شائبة من الظلم تمس المرأة فهو أبغض الحلال إلى الله[٣] ، ولا يلجأ إليه إلا بعد استنفاد كل الوسائل الأخرى كالتأديب بمراحله والحكمين ، وإذا لم يكن بد منه فلا بد أن يكون فى طهر لم يجامعها فيه حتى تبدأ العدة مباشرة ، ولا بد أن يكون رجعياً حتى يفكر كل منهما فى خطئه ثم يتراجعان فى العدة ، وهو مرة ثم مرة ثم مرة وبعدها لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، وقد كان فى الجاهلية بلا عدد فحدده الإسلام بثلاث ، وللمرأة فى العدة كل الحقوق الزوجية .

فمن ينظر إلى هذه القيود يعلم أن الطلاق تشريع لا بد منه لإنهاء العلاقة الزوجية التى لم تعد ممكنة ، فهو خير من اتخاذ الخليلات والهجر ، وهو خير من الانتحار الذى يلجأ إليه بعض الأزواج والزوجات ، ولذلك بدأت الشعوب التى تدعى التحضر وكانت تهاجم الإسلام ، بدأت تنادى بالطلاق وتتظاهر وتثور لتطبيقه ، وبدأت فعلاً بعض الدول فى تطبيق ذلك حين رأت أنه الطريق الطيب والأفضل للخلاص من الزواج الفاشل وسوء العشرة ، وما ينتج عن ذلك من آلام نفسية ومصائب اجتماعية ، وصدق الله العظيم :

﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ﴾

[النساء/١٣٠] .

وإذا كان الإسلام قد أعطى ذلك الحق للرجل ، فإنه لم يحرم المرأة منه ولا من مثله ، فليس للرجل أن يستبد بهذا الحق ويظلم المرأة ، بل حين يلحقها أي ضرر حقيقي من الرجل لها أن تطلب الطلاق ، فإن لم يستجب طلق القاضي ، ولها أن تفتدى نفسها بما يعوضه عما أنفقه وتطلب الخلع ، وإذا حلف ألا يجامعها تحدد له مدة للعودة عن يمينه والتكفير عن ذلك ، فإن لم يفعل فعليه الطلاق ، وإذا حرمها على نفسه ارتكب منكراً من القول وزوراً لا يكفره إلا كفارة مغلظة عتق رقبة ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ، وكل ذلك من قبل أن يتماسا تأديباً له وتربية .

وهكذا نجد بوضوح جمال التشريع الإسلامى فى

هذه النواحي وبراءته مما يلصق به من افتراءات ، ومما يؤكد ذلك : أن القوانين الوضعية بدأت تأخذ بذلك فى حدود فهمها ، ولو فهموا التشريع الإسلامى كله لأخذوا به[٤] ، وسيأتى ذلك الوقت إن شاء الله .

وأما عن نصيبها من الميراث : فإنها قبل الإسلام لم تكن تأخذ من المال شيئاً ، كما أنها فى ظل بعض القوانين الوضعية الحديثة لا تأخذ شيئاً ، وفى ظل بعضها الآخر : تحرم الأسرة كلها من أخذ أى شىء[٥] .

أما فى الإسلام : فالأمر مختلف ، فقد جعل الله - عز وجل - للرجل نصيباً مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيباً مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر ، وجعل ذلك النصيب فرضاً تولى سبحانه بيانه بنفسه ، وإذا كان لنا أن نتلمس بعض أسرار التشريع فى تمييز بعض المستحقين على بعض وتفضيل الذكر على الأنثى فإنما كان ذلك مراعاة لحاجة بعض الورثة وما يتحملونه من مسئوليات فضلاً عن قرابتهم من المتوفى ، فالأبناء - ذكوراً وإناثاً - أقرب الأقارب للمتوفى ، وأكثر حاجة للمال من غيرهم ، لأنهم يستقبلون حياة جديدة وغيرهم يستدبرها ، فكان نصيبهم أكثر من الأبوين مثلاً ، ولأنهم الامتداد الطبيعى للمتوفى ، فكان فى تمييزهم انسجام مع الفطرة وملائمة للنزعة الإنسانية ، ومن هنا كان تمييز الذكر عن الأنثى أيضاً ، فالذكر أعباؤه أكثر ومسئولياته فى الحياة أعظم ، فقد علمنا أن الأنثى إما أن تكون فى رعاية الأب أو فى رعاية الزوج أو أحد الأقارب وهى فى كل الأحوال لا نفقة عليها ، ونفقتها على من هى عنده واجبة ، أما الذكر فمطالب إن كان زوجاً أو أباً أو أخاً إلى آخره بالإنفاق عليها ، علاوة على مسئولياته التى حمله الشرع إياها من تقديم صداق ، وتأثيث بيت ، وتحمل النفقات لها ولغيرها من أبناء ووالدين ، وأقارب محتاجين ، وهكذا فإذا قسنا ما يتميز به الذكر مع ما يتحمله من مسئوليات ، وما تأخذه المرأة بلا مسئوليات يظهر لنا : أن المرأة أحظ من الرجل فضلاً عن أن تكون مظلومة .

أما عن تعدد الزوجات : فليس فيه أى ظلم للمرأة ، بل هو كما سنعلم من مظاهر إنصاف المرأة عموماً ، وفى النظرة

الشمولية لهذا التشريع .

إن الإسلام لم يشرع تعدد الزوجات اعتباطاً ، وإنما كان التعدد شيئاً طبيعياً ، وأمراً واقعياً يعتوره كثير من الظلم والفوضى ، فقيده الإسلام وحدده واشترط له العدل والقدرة على الأعباء الزوجية ، وكان فى تشريعه هذا منسجماً مع منطق الشريعة فى تحريم الزنا ، ومسايراً لطبائع البشر من حيث اختلاف طبيعة المرأة عن طبيعة الرجل فى إشباع الغريزة عند كل منهما ، كما أنه يتفق مع الغرض من الزواج ، وهو تحقيق العفة والنسل ، وبهذا يكون التعدد تشريعاً صالحاً ، يدفع الضرر ويرفع الحرج ويسمو بالأخلاق ، ومن هنا لم يجعله الإسلام تشريعاً واجباً ، وإنما جعله مباحاً لمن هو بحاجة إليه ، ولمن يقدر على أعبائه ويحقق العدل فيه :

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ سورة النساء : ٣ .

وبهذا يتبين جمال التشريع وعظمته ، ومما يؤكد ذلك ويبين فساد الرأى المضاد أن مثيرى هذه الشبهات بدأوا يفكرون فى إباحته ، فقد عقدت الحكومة الفرنسية سنة ١٩٠١ مؤتمراً للبحث عن خير الطرق فى مقاومة انتشار الفسق ، وتقليل عدد اللقطاء ، ورأى المؤتمرون أن العلاج هو أن يباح للرجل التزوج بأكثر من واحدة . والواقع خير شاهد على ذلك ، فهذه تركيا بعد أن أدارت ظهرها للإسلام وأصدرت سنة ١٩٢٦م قانوناً بمنع التعدد لم يمر على ذلك ثمانى سنوات حتى هال أولياء الأمور فيها عدد الولادات السرية والخليلات ووفيات الأطفال .

ثم أيهما أفضل - إذا جازت المقارنة بين التشريع الإسلامى والقانون الوضعى - تشريع يلائم الفطرة ، ويحقق المقاصد ويرفع الضرر ويقضى بالعدل ، أو قانون يسبب الكبت ويبيح الفاحشة ويشيع البغاء والسفاح وهل اتخاذ المرأة زوجة أصيلة مصونة لها كل الحقوق أفضل أو اتخاذها للمتعة وقتاً فى ليل أو نهار بلا أى حق أو التزام ؟

(١) انظر : شبهات حول الإسلام - محمد قطب ص ١٠٦ ، ١٤٩ .
(٢) انظر : تفاصيل ذلك فى كتب الفقه .
(٣) الحديث المذكور ضعيف عن ابن عمر .
(٤) انظر : التشريع الجنائى الإسلامى - عودة ص ٤٩ ، شبهات حول الإسلام ص ١٣٢ ، ١٣٤ ، ووجوب تطبيق الشريعة - محمد الحبيب بلخوجة ص ٦٠ .
(٥) انظر : حقوق الإنسان فى الإسلام - د/ على عبد الواحد وافى ص ٧٠

الظلم

بقلم أ : إبراهيم حافظ رزق

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده ، وبعد :

فقد اقتضت حكمة الله تعالى التميز بين بعض الأشياء ، والمفاصلة بينها حتى تظهر حقيقة تلك الأشياء واضحة جليَّة أمام أعين الناس ، ومن ذلك مثلاً . الليل والنهار ، والظلمات والنور ، والغنى والفقر ، والصحة والمرض ، فحقيقة هذه الأشياء تظهر أكثر وأوضح بمعرفة ضدها ، وفى القرآن الكريم أمثلة كثيرة من ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ . وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ . وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ . وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ .

[فاطر : ١٩ - ٢٢]

ولما كان حديثنا السابق عن العدل ، فقد رأينا بعد توفيق الله أن يكون الحديث هذه المرة عن الظلم ، فنقول وبالله التوفيق :

إذا كان العدل هو الإنصاف والمساواة وعدم الجور ، فإن الظلم هو وضع الشىء فى غير موضعه ، وأصله الجور وتجاوز الحد ، وقد نهى الله عباده عن الظلم وحرمه فيما بينهم ، ففى الحديث القدسى الذى رواه مسلم عن أبى ذر : « يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » أى فلا يظلم بعضكم بعضاً ، وقد نزه الله نفسه عن الظلم فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً ... ﴾ يونس ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ .. ﴾ النساء ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ . فصلت ، ففى تلك الآيات وغيرها ينفى الله سبحانه عن نفسه الظلم ، وذلك يعنى إثبات كمال عدله سبحانه وتعالى ، وقد أخبرنا القرآن الكريم أن الإنسان هو أكثر مخلوقات الله ظلماً لنفسه ولغيره ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ . إبراهيم ، وقال تعالى : ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ . الأحزاب ، فظلوم : صيغة مبالغة على وزن فعول أى : كثير الظلم .

— وفى السُّنة المطهرة أحاديث كثيرة ينهى فيها الرسول ﷺ عن الظلم ويبين مساوىء الظلم

وعاقبة الظالمين ، فمن ذلك ما رواه البخارى : « الظلم ظلمات يوم القيامة » ، وفى مسلم عن جابر : « اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » ، وفى الصحيحين عن أبى موسى أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ، ثم قرأ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ ، هود .

– وإذا كان العدل أقساماً ، فإن الظلم كذلك أقسام منها : ظلم يقع من الإنسان فيما بينه وبين ربه ، وأعظمه الإشراك فى عبادة الله ، لأن المشرك يأخذ حق الله ويعطيه لغيره ، فهو بذلك يضع الأشياء فى غير موضعها ، وذلك هو الظلم ، فالله خلق عباده من أجل عبادته وحده وأمرهم أن يتعبدوه بأنواع العبادة المختلفة من ذبح ونذر ودعاء وحلف واستعانة واستغاثة ... إلخ ، فتوجه كثير من خلق الله بذلك إلى غير الله من الموتى والمقبورين ، فصرفوا لهم عباداتهم من دون الله ، وطلبوا منهم قضاء الحاجات وإجابة الدعوات وكشف الكربات ، وقد سمى الله صرف العبادة لغيره افتراءً ، والافتراء ظلم ، فقال تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ، تَاللهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ النحل ، فالإشراك فى عبادة الله من أعظم الظلم ، قال تعالى فيما وصى به لقمان ابنه ﴿ يَابُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ . لقمان ، وفى الصحيحين ما معناه أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ... ﴾ الأنعام ، شق ذلك على الصحابة ، وقالوا : « أينا لم يظلم نفسه ؟ » فقال لهم رسول الله ﷺ : « ليس كما تظنون ، وإنما هو ما قال لقمان لابنه ﴿ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ، وقد بين القرآن الكريم حال الظالمين المشركين حين احتضارهم وخروج أرواحهم وما هم فيه من الكرب والشدة بسبب شركهم وقولهم على الله بغير حق ، فقال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ . وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُم تَزْعُمُونَ ﴾ . الأنعام .

– ومن أقسام الظلم أيضاً ، ظلم الإنسان

لغيره ، بالاعتداء على حقه والإساءة إليه وأكل ماله بغير حق ، وغير ذلك مما نُهينا عنه ، ويدل على ذلك القسم من الظلم مخالفة الناس لقول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله : « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم » فالله حرم قتل النفس إلا بحقها ، فخالف كثير من الناس أمر الله وراح بعضهم يضرب رقاب بعض ، وكذلك حرم الله أكل أموال الناس بالباطل ، فتفنن الناس فى أكل أموال بعضهم بصور شتى منها : أكل الربا وأخذ الرشوة وأكل أموال اليتامى ظلماً ، واستغلال الوظائف للإثراء الفاحش ، كذلك حرم الله على المسلم الوقوع فى أعراض إخوانه من المسلمين ، وأكل لحومهم وتتبع عوراتهم والسخرية منهم والاستهزاء بهم لأن ذلك من الظلم ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ من نِسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ الحجرات ، والرسول ﷺ يحذرنا من ظلم الناس فيقول فى حديث البخارى : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو مال فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أُخذ من حسناته بقدر مظلمته، فإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » .

– ومن الظلم أيضاً ظلم الإنسان نفسه ، وذلك بدفعها لارتكاب الآثام والذنوب والوقوع فى محارم الله وتعدى حدوده وعدم الالتزام بأوامره ، قال تعالى : ﴿ ومَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَد ظَلَمَ نَفْسَه .. ﴾ الطلاق ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدودَ اللهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ البقرة .

– وقد بين القرآن الكريم أن عاقبة الظلم وخيمة فى الدنيا والآخرة ، وأن سبب هلاك الأمم ودمار القرى وخراب الديار إنما هو ظلم أهلها ، قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً ﴾ . الكهف ، وقال تعالى : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ... ﴾ النمل ، وكذلك أخبرنا القرآن أن الظلم وسيلة لحرمان الإنسان من نعم الله عليه ، فقال تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ .. ﴾ النساء ، ألا فليتق الله الظالمون الذين يظلمون عباد الله ويظلمون أنفسهم ، وليعلموا أن الله لهم بالمرصاد

الأسوة الحسنة في ..

بقلم
أ. أحمد يوسف
عبد المجيد

حمدا لله وصلاةً وسلاماً على من بعثهُ الله رحمةً لعباد الله وبعد فإن من رحمة الله تعالى بعباده أن أرسل إليهم رسلاً من جلدتهم ، ويتكلمون بألسنتهم . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم/٤] وذلك حتى لا يحتج أحد على الله تعالى كما بين عز شأنه في الآية ١٦٥ من سورة النساء : ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ ولقد ذكر لنا ربنا جُملة من هؤلاء الرسل في سورة الأنعام في الآيات من ٨٤ الى ٨٧ ثم بين أنهم نالوا الهداية من الله ، والواجب الاقتداء بهم ، قال سبحانه ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِه ... ﴾ [الأنعام/٩٠] .

ومن بين هؤلاء الصفوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ، والذي دعانا القرآن الكريم إلى التأسي به في البراءة من كل ما عُبد من دون الله فقال سبحانه : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ ... ﴾ [الممتحنة/٤] .

كما أشار القرآن الكريم إلى أن إسلام الوجه لله تعالى ، واتباع ملة الخليل إبراهيم هما الطريق الى قبول العمل عند الله ، قال تبارك اسمه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ [النساء/١٢٥] .

بل لقد سبق الوحي إلى رسولنا محمد ﷺ باتباع ملة الخليل في قوله عز وجل

الخليل عليه السلام

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل/١٢٣] .

فليس الوحي باتباع شخص إبراهيم ، وإنما الوحي باتباع الملة وهي التي زعم اليهود أنها اليهودية ، وكذا زعم النصارى أنها النصرانية ، بل زعم المشركون أنها الوثنية ، فقضى ربنا في ذلك قائلاً : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِياً وَلَا نَصْرَانِياً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران/٦٧] .

نعم ، إنه الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ، إنه البعد عن كل الوسائل المؤدية إلى الشرك بالله ، إنها هداية الله ، قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، دِيناً قِيماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام/١٦١] .

إنه الإسلام الذي دعا إليه الخليل عليه السلام ، دعا إليه أقرب الناس وأقصاهم ، دعا إليه أباه وبين له فساد ما هو عليه من عبادةٍ لغير الله ، وبين له أن غير الله لا يسمع ولا يبصر وليس عنده حتى يعطي ، كما أوضح له أنه لا يتكلم عن هوى أو من تلقاء نفسه ، كما بين له عداوة الشيطان وأنه يخاف عليه من عذاب الله . لقد نقل لنا القرآن الكريم هذا المشهد من نصيحة إبراهيم عليه السلام لوالده في قوله تعالى من سورة مريم :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِياً * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيّاً * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً ﴾ [الآيات من ٤١ - ٤٥] .

إن ملة الكفر واحدة وإن تباعدت الأزمان

والأماكن ، فبعد هذا الكلام الطيب من الخليل لأبيه يأتى الرد الذى لا يحمل بين طياته إلا العناد والإصرار على ما هو عليه كما فى قوله عز وجل : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ [مريم/ ٤٦] .

غير أن الحكمة والموعظة الحسنة كانت السمة الواضحة فى دعوة الخليل عليه السلام أظهرها القرآن الكريم فى رد الخليل على أبيه فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [مريم/٤٧]

ولقد انقطع هذا الاستغفار من الخليل لأبيه بعد أن ثبت له عداوته لله . قال جل شأنه : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة/١١٤] .

ثم انتقل الخليل من دعوته لأبيه إلى دعوة قومه آمراً إياهم بعبادة الله والخوف منه وحده مبيناً لهم أن كل ما عُبد من دون الله ليس لهم من الأمر شيء لا فى أجل الأمور ولا فى أحقرها ، وأن المرجع إليه وحده فيجازى كل إنسان بما قدمت يداه ، قال جل شأنه : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت/١٦].

لقد قضى الخليل عليه السلام حياته داعياً الناس إلى الله تعالى يدحض الزعم بالحجة الواضحة التى قال عنها القرآن الكريم : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام/٨٣] .

فهو يدخل فى حوار مع رجل استحوذ عليه الشيطان حتى زعم أنه يستطيع الإحياء والإماتة فما ناقشه الخليل في ذلك بل عرض عليه أمراً يضرب به المثل فى الوضوح وهو الشمس إذ قال القرآن حاكياً عن ذلك : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة/٢٥٨] .

إن دعوة الخليل لم تكن كلمات جوفاء يتفوه بها

وإنما هى دعوة لعقيدة راسخة فى القلب تزداد يقيناً بما فى هذا الملكوت الواسع والخلق العجيب ، فها هى دعوته ترتقى إلى أعلى فى محاولة لانتشال عُباد الكواكب من ضلالهم وتزيين الشيطان لهم عبادة هذه الكواكب ليُرجعهم إلى فطرتهم السليمة وحتى لا يصرفوا العبادة لمخلوقات لا دوام لها جاء هذا فى سورة الأنعام فى الآيات من ٧٥ إلى ٨٢ .

لقد استحق الخليل عليه السلام أن ينزل فى حقه قول الله تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى ﴾ [النجم/٣٧] .

إن الخليل عليه السلام لم يُقصر فى شىء واحد مما أمره الله به وقد مدحه الله بقوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة/١٢٤] .

فلما كان هذا شأنه مع أوامر الله خلد الله ذكره فى القرآن الكريم فسُميت باسمه السورة الرابعة عشرة فى ترتيب المصحف وأثنى الله عليه قائلاً : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل/١٢٠] .

فما أحوجنا إلى التأسى بالخليل عليه السلام فى كل زمان ومكان دعاة إلى الله ، مجتهدين لإظهار الحق ، ما أحوجنا إلى التأسى به إذا وقع علينا الظلم الذى لا نستطيع دفعه أن نقول كما جاء فى الصحيح عن ابن عباس أنه قال (حسبى الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقى فى النار ، وقالها محمد ﷺ حين قيل له : ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ .

فاللهم توفنا على ملة الخليل إبراهيم .

إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاءٍ فيها ، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم .

ولم يُصِمَّهُمْ عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة ، ولم يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة ، ففازوا بثواب الأبرار .

إن أهل التقوى أيسَرُ أهل الدنيا مَؤونة وأكثرهم لَكَ مَعُونَةَ ، إنْ نَسِيتَ ذَكَّروكَ ، وإن ذَكَرتَ أعانُوك .

قَوَّالِينَ بحَق ، قوامين بأمر الله فأنزِل الدنيا كَمَنزِلٍ نَزَلْتَ به وارْتَحَلْتَ منه .

الإسلام دين الرسل

د. محمد بن علي الفرحاوي
عضو إدارة الدعوة والإعلام

إن دين الإسلام هو الفطرة السليمة النقية التى فطر الله عليها جميع مخلوقاته وأخصّ منهم الإنسان، لذلك ما من رسول ولا نبى أتى إلى قوم إلا دعاهم إلى هذا الدين الحنيف، ولم يأت كل منهم بدين يخالف دين الإسلام، وفى هذا يقول عز وجل: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣].

وانظر إلى قوله « الدين » ولم يقل « أديان » لذلك يقول تعالى أيضاً : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَامُ ﴾ بلفظ المفرد « الدين » وليس بلفظ الجمع، مما يدل على أنهم جميعاً جاءوا بدين الإسلام وليس مجموعة أديان، ولكن كان لكل منهم شرعة خاصة به وبقومه تتناسب مع ظروفهم وأحوالهم وفى هذا يقول الحق جل شأنه : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ [المائدة:٤٨]، فكان لموسى عليه السلام التوراة، وكان لعيسى الإنجيل، ولداود الزبور، ولمحمد - عليهم جميعاً الصلوات والتسليمات- القرآن، وهذه الكتب فيها شرائعهم.

يقول ﷺ : « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد » أخرجه البخارى، أى مهما تنوعت وتعددت شرائعهم إلا أنها جميعاً تدعو إلى دين

واحد وهو دين الإسلام .

أيها المسلمون إن الإسلام هو دين الحنيفية السمحاء ، والإسلام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين وفى هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِى مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِى النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦].

إن الإسلام ليس بجديد على الناس ، فالإسلام قبل آدم ، فها هو إبليس كان مسلماً قبل أن يُبلس من رحمة الله بمعصيته لله فى السجود لآدم ، والإسلام هو الدين الذى ارتضاه الله للناس ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة :٣]. فمن أتى الله يوم القيامة بغير دين الإسلام من أى قطر كان ، ومن أى لهجة ولسان فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ، وفى هذا يقول سبحانه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]. ويقول صلوات ربى وسلامه عليه : « والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » أخرجه مسلم .

أيها المسلمون ، آن للنائم أن يستيقظ ، وحان للغافل أن ينتبه ، فلنعلم جميعاً أن الإسلام هو دين الكون كله ، لنعلم أننا أمة واحدة ، ديننا واحد ، وإلهنا واحد ، ودستورنا واحد ، فلنعض عليه بالنواجذ متحدين غير متفرقين ، ليعلم المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها أن أعداءهم قد أعدوا للمسلمين العدة ، وقاموا مشمرين عن سواعدهم لضرب الإسلام وتدميره فذبحوا من المسلمين ما ذبحوا ، وشردوا ما شردوا ، ودمروا من قرى ومدن المسلمين ما دمروا ، وليست حربهم هذه بغائبة عن أحد من المسلمين ، فنحن نقرأ ونسمع ونرى عن الإبادات الجماعية للمسلمين من اليهود والنصارى ، إلى متى نترك هذا الدين غائباً غريباً عن حياتنا ، فلا نحل حلاله ، ولا نحرم حرامه ، إن أعداءنا أضاعوا من مجتمعات المسلمين خلق الإسلام، فانتشرت الرذيلة، وانمحت الفضيلة، وتفشى الشرك والتجأ الناس إلى غير الله فى كل شىء فنزل

بنا من المصائب والبلايا ما نزل .

إن جماعات التبشير قد انتشرت فى بلاد العالم تدعو إلى الوثنية والطاغوت فى الوقت الذى نام فيه المسلمون عن الدعوة إلى دين الإسلام ، وإنى لأدعو كل مسلم مخلص لربه ولدينه ولأمته إلى الصحوة الإسلامية التى تعيد للأمة الإسلامية مجدها وعزها حول كتاب الله وسنة رسوله ، فليتلاحم المسلمون جميعاً تلاحماً غير ممقوت ، وليتكاتف الجميع تكاتفاً غير مذموم ، شباباً وشيباً ، رجالاً ونساءً ، كباراً وصغاراً ، عامة وخاصة ، رؤساء ومرءوسين من أجل الدعوة إلى دين الإسلام وليثق الجميع فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

مديرية الشئون الاجتماعية بالمنيا

إدارة الشئون القانونية

قرار شهر

رقم ١١٣٢ بتاريخ ١٩٩٣/٧/١٠

وكيل وزارة الشئون الاجتماعية بالمنيا

بعد الاطلاع على القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤ بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة ولائحته التنفيذية وعلى طلب شهر جمعية فرع جماعة أنصار السنة المحمدية بناحية ملوى مركز ملوى بندر ملوى

وعلى مذكرة النشاط الأهلى بالمديرية بتاريخ ١٩٩٣/٧/١٠ وموافقة الاتحاد الإقليمى وجهة الأمن

قرار

تشهر لائحة النظام الأساسى لجمعية

بناحية ملوى مركز ملوى بندر ملوى

على إدارة النشاط الأهلى بالمديرية تنفيذ هذا القرار